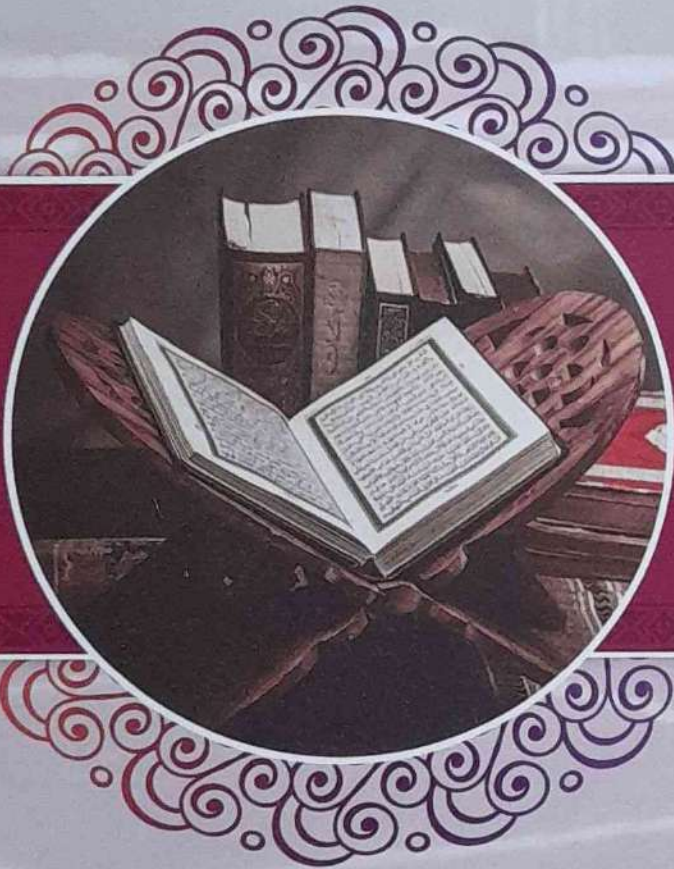


الإيمان بالقراءات الكريمة

منهجيات وخصائص ودلائل وقضايا قرآنية مطروحة
في التأريخ والتأويل والعلم والقيم والسلوك



بقلم
د. أمير عبد الكريم سوبره

الإيمان بالقرآن الكريم

منهجيات وخصائص ودلائل وقضايا قرآنية مطروحة
في التايخ والتأويل والعام والقيم والسلوك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى الأئمة بديع الزمان سعيد النورسي ومحمد متولي
الشعراوي ونور الدين عتر رحمهم الله تعالى، الذين أسهموا
في رسالة نشر الإيمان بالقرآن.

إلى الأستاذ الداعية فاضل سليمان حفظه الله تعالى الذي
شرفني بالاطلاع على الكتاب وتقديمه.

إلى عائلتي الكبيرة وأسرتي الصغيرة على الصبر والتفهم
والدعم بفضل الله تعالى.

فأسأل الله تعالى أن يكون ذلك الكتاب في ميزان حسناتهم
جميعاً وأن يكون ذخراً لنا في الدنيا كعلم يُنتفع به وفي الآخرة
يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.





بقلم فاضل سليمان

الحمد لله الذي أنزل القرآن ورفع به الإنسان وجعله نوراً للقلوب والأبدان والصلاة والسلام على النبي العدنان محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه بإحسان.

القرآن هو حبل الله المتين وصراطه المستقيم من تمسك به نجا ومن أعرض عنه هلك، هو القرآن الكريم، كتاب الله العزيز، فيه نبأ ما كان قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين والذكر الحكيم والصراط المستقيم. وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

ولكن كل هذه الفوائد العظيمة تكون بعد تدبره وفهمه والتفكر في آياته أما الاقتصار على الحفظ وتحسين الصوت في تلاوته فلم يفيد ولن يفيد طالما أن الفهم والتدبر قد همشا.

وقد سعدت بالاطلاع على كتاب: «الإيمان بالقرآن الكريم، منهجيات وخصائص ودلائل» الذي كتبه الأخ الدكتور أمير سوبرة إذ نحتاج في العالم



لإسلامي إلى المزيد من هذه الأبحاث التي ترفع الوعي عن أهمية القرآن الكريم في تربية الإنسان وتكوين شخصيته .

فلم يقتصر القرآن على الاهتمام بالتربية الإيمانية وشحن القلوب بالإيمان أو على التربية الروحية ودورها في تزكية النفوس وتطهيرها من الكبر والغرور وإنما اهتم أيضاً بالتربية الجمالية فأبدع في وصف الجنان والأنهار والجبال وأدخل الألوان في رسم لوحات طبيعية وتعبيرية تزرع في القارئ المتدبر حب الجمال .

فقد وصف الله جنات الآخرة بأنها جنات تجري من تحتها الأنهار حوالي خمساً وثلاثين مرة، لا ليضمن للمؤمنين مصدراً للشرب في الجنة بل ليرسم لوحات جمالية للجنات الغناء الخضراء العالية على الروابي والجبال بينما الأنهار تجري من تحتها في الوديان .

وتعدد ذكر الزينة وجعل التزيين من أفعال الإله .

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر : ١٦] .

﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكُوْكَبِ﴾ [الصافات : ٦] .

﴿وَلَقَدْ زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ﴾ [الملك : ٥] .

وقد يظن الناس أن التربية الجمالية شيء ثانوي بينما هي من أسلحة المؤمن في محاربة الشيطان ومن وسائله لتفادي الوقوع في فخاخه المنصوبة في كل مكان وزمان .

فالمؤمن الذي تلقى قدراً من التربية الجمالية يصبح قادراً على التفريق بين الجميل والقيح .

فالله ﷻ لم يزين السماء الدنيا فقط بل زين الإيمان أيضاً وحببه إلى قلوب المؤمنين .

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات : ٧] .

والشيطان أيضاً يزين لكنه يزين الكفر والفسوق والعصيان .

﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣] .

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨] .

فالشيطان يزين القبيح ليجعله يبدو حسناً في القلوب وجميلاً للعيون .
وهنا يأتي دور التربية الجمالية ، فمن تربي عليها ونهل منها على مائدة
القرآن هو الذي يستطيع أن يفرق بين الجمال الحقيقي والجمال الزائف .
فلا تنطلي عليه خدعة الشيطان ولا يرى القبيح جميلاً رغم كل
الماكياج والزينة والمحسنات .
أسأل الله أن ينفع القراء بهذا البحث الهام وأن يجعله في ميزان كاتبه
يوم القيامة .

فاضل سليمان

صوفيا ، بلغاريا في ٢٧ محرم ١٤٤٣هـ

الموافق ٥ سبتمبر ٢٠٢١م

مُقَدِّمَةٌ



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد:

يقول الدكتور طه جابر العلواني: «القرآن هو الذي علّمنا ألا نقبل خبراً دون تثبُّت وتبيُّن وفحص واختبار، بقطع النظر عن المخبر والمخبر عنه، والقرآن علّمنا بأن نفقه ونعقل ونتفكّر ونتذكّر ونستبصر ولا نقبل شيء بدون برهان، ولا نرتضي شيئاً بدون حجة، فالقرآن أراد صنع أمة ذات عقل برهاني، لا يقبل شيئاً بدون برهان، وقبول القول بلا حجة شأن المشركين، لا شأن المسلمين..»

نعم هذا هو القرآن، كتاب الله، تعجز البشرية على أن تحيط بفوائده، فهو معجز بلفظه، ومدلولاته، لذلك أرشدنا ربنا لقراءته ومدارسته، لنصل إلى القناعة الأبدية، أنه لا حياة حقيقية إلا بفهم القرآن والعمل بما فيه.

في هذا الكتاب يُبحر بنا الشيخ الدكتور أمير سوبره ليعرّفنا إلى خصائص القرآن وأدلته، وإلى بعض القضايا المتعلقة بالقرآن من جانب إثباته وعلاقته مع العقل والعلم وغيرها، فترتقي عقولنا وتزهر قلوبنا، فيستقيم بذلك إيماننا وتفكيرنا.

ويعتبر هذا الكتاب مادة علمية لبرنامج تدريبي يقدم في مركز مهارات للتدريب والتطوير في جمعية الإرشاد والإصلاح الخيرية الإسلامية في لبنان.

وهو برنامج من ضمن سلسلة برامج قرآنية يقدمها المركز، بهدف تعميق الصلة بين الناس وكتاب الله ﷻ.

مركز مهارات للتدريب والتطوير

د. صبح البداح

التَّهْنِيدُ



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فالقرآن هو الوحي المنزل الذي واكب دعوة النبي ﷺ في كل توجُّهاتها وخياراتها وتحدياتها، وكان الدليل على صحة الدعوة وإلهية الرسالة. وهو أساس فهم دين الإسلام في شموله ودقته وترتيب أولوياته، ودليل العقائد الإيمانية وروح التزكية القلبية والمصدر الأول للأحكام التشريعية. وهو في كل ذلك كتاب الهدى الذي يُعرِّف الإنسان على رب العالمين وعلى طبيعة هذا الإنسان وكيف يصل إلى الله تعالى، وكيف ينظر إلى ما حوله (الحياة الدنيا وأحداثها، الإنسان الآخر، الكون) ويتعامل معه، وكيف يضبط خيارات حياته الواسعة بما يُحقِّق الاستقامة والمصالح المعتبرة ويحفظ الحقوق ويؤدي الواجبات. وهو خطاب المناجاة مع الله تعالى في قيام الليل وأطراف النهار، كما هو الكتاب الذي تجتمع الأمة به ويُحقَّق اجتماعها.

من هنا تظهر أهمية القرآن في حياة المسلم، بل في حياة الإنسانية.

ومن هنا أيضًا تظهر بعض أسباب استهداف القرآن لإبعاده عن عقول وقلوب المسلمين، وعن أيدي واهتمامات غير المسلمين. فتكثر مشاريع ضرب مسلمة هذا الدين وتشكيك أبنائه به حتى لا تُعد لهم هوية جامعة ومعتقدات راسخة، أو مرجعية قيمية حاکمة على خياراتهم وتصرفاتهم

يُقيّمون من خلالها واقعهم وما يتم استيراده لهم من أفكار وأشياء، أو دور حضاري ينهض بهم مع دليل التحرك في مراحل هذا النهوض وتحدياته. وبذلك، تُصبح الأمة دولاً مشتتة عن بعضها، وتُصبح الدول جماعات مشتتة في نسيجها، يغلب عليها الاستيراد للأفكار المتناقضة مع بعضها والمتناقضة مع الفطرة في غفلة وتغافل عن إرثهم المشترك العظيم، كما يغلب عليها الاستهلاك للأشياء غير الضرورية - بل الضارة غالباً - في حياتهم رغم مواردهم المحلية المهملة أو المنهوبة.

لذلك، وفي الوقت الذي تجتاح شبابنا موجات من التشكيك الممنهج بالإسلام والقرآن، بالتوازي مع ضعف منهجيات ومعلومات التعامل معها لديهم، يُحقّق الإيمان بالقرآن الكريم نقطة ارتكاز حقيقية للوقاية والعلاج في هذا الواقع المضطرب المشوّش.

من هنا، كان لا بد من:

- تحديد المنهجيات المطلوبة للتثقيف عليها كحصانة.
- عرض أدلة الإيمان بالقرآن وخصائصه المميّزة له عن غيره.
- استعراض قضايا تتعلّق بتاريخ النزول والتدوين، وباتجاهات معاصرة في التأويل، وبالعلم وعلاقته مع القرآن، وبالمنظومة القيمية فيه، وبالسلوك العنفي المنسوب إلى آياته وتاريخ الحضارة الإسلامية.
- وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد في مقاربة هذا الموضوع.



أولاً: المنهجيات



لا بد قبل الدخول في أي حوار أو الإجابة عن أي سؤال موضوعي أو تشكيكي، أن يتم اعتماد مجموعة من المنهجيات المنظمة للمعلومات والموجهة للتفكير، وإلا فإن الجهل بها يُمثّل ضعفاً في الحال وخطورة في متبنيات الاتجاهات في المآل. وأرى أهمّها:

- اعتماد مناهج الاستدلال المناسبة: ففي مسائل التاريخ يلزم الاستدلال بالنقل؛ أي: بالرواية التاريخية الثابتة، وفي قضايا الإيمان يلزم الاستدلال بالعقل؛ أي: بالمقدمات المنطقية العلمية، وهذا من خصائص الإيمان في الإسلام ومنهج عرضه في القرآن (فليس الإيمان في الإسلام قائماً على التصديق ثم محاولة الفهم دون دليل من نص أو منطق). لأن كثيراً ما يحدث العكس تماماً فيُظنّ أن التاريخ مدخله العقل؛ فتُفتح أبواب احتمالات لا حصر لها، وأن الإيمان مدخله النقل والتقليد؛ فتُرد حجج واضحة للعيان. لذلك، المطلوب هو التمييز بين الإيمان الذي مدخله العقل (التفكير في الكون وخلق الإنسان)، وبين التاريخ الذي مدخله النقل (الرواية الموثقة).

مثال: افترض أحد المستشرقين أن الرسول ﷺ أخذ أفكاره من النصرانية عبر متبناه زيد بن حارثة، وبنى ادّعاءه على كون مساكن قبيلة زيد تُجاور منطقة فيها نصارى! كما افترض البعض تعلّق نفس الرسول ﷺ بزینب زوجة زيد فأمره بطلاقها!

هنا، يلزم أن ينطلق البحث في روايات تلك الحقبة التاريخية ودراسة

أسانيدها، لأنها هي المدخل لإثبات حدث ما وحيثياته، دون الاكتفاء بوضع فرضيات مسبقة. وباعتماد ذلك يتبين أن لا دليل على الفرضية الأولى، كما يتبين أن الروايات التاريخية الصحيحة تُشير إلى أن الرسول ﷺ هو الذي زوّج زينب إلى زيد وأن طلاقها كان رغبة كاملة لزيد، وأن حكمة الله تعالى اقتضت إلغاء مستتبعات التبني من الأحوال الشخصية بزواج الرسول ﷺ من مطلقة متبناه، وهذا الأمر الذي كان في نفسه من الخشية من لائمة الناس ﴿وَنُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَنَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ نَخْشَهُ﴾ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِيَكِيَ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿[الأحزاب: ٣٧].

مثال: التفكير في خلق السموات والأرض، وخلق الإنسان، مدخل للإيمان بالله تعالى وكثير من صفاته. وهذا منهج القرآن في عرض الأدلة العقلية والمنطقية على أصول أركان الإيمان (بالله، وبالיום الآخر، وبالقرآن، والرسول ﷺ، وبالقضاء والقدر)^(١).

- في أدلة الإيمان: ← مدخله العقل
- ← الأنفس والآفاق الإيمان بالله
- ← القرآن الإيمان برسول الله
- في أدلة التاريخ: ← مدخله النقل
- ← الرواية الموثقة إثبات الأشخاص والأحداث
- الشروط العامة:

الوصول إلى

نتائج صحيحة

الموضوعية بلا مسبقات وإسقاطات

التمييز بين أصناف الموضوعات

(١) وسيأتي مزيد بيان عند عرض منهج الاستقراء في بداية الحديث عن خصائص القرآن وأدله.

- التمييز بين الخبر والتحليل : هناك فرقٌ بين خبرٍ مجردٍ يعرض الواقع كما هو، وبين تحليلٍ يربط هذا الواقع أو بعض جوانبه بخلفياتٍ ومبرراتٍ وتوجُّهاتٍ واتهاماتٍ مسبقةٍ. فالأول يُطابق الواقع، فيما الثاني يقبل الصواب والخطأ. وتكمن الإشكالية عند التداخل بين الخبر والتحليل في ذهن المتلقّي، فيُصنّف التحليل (الذي يقبل الخطأ) خبراً (أي: أمراً واقعاً).

لذلك، المطلوب التمييز بين أحداث من الواقع وتحليلات مدخلة عليها.

مثال: قصة غزوة بني قريظة، يُمكن عرضها من زاوية مسلسل اضطهاد اليهود في البلاد الإسلامية في عهد الرسول ﷺ. ويُمكن عرضها من زاوية استحقاقهم لذلك عقوبة لهم. وبدراسة الروايات التاريخية يتبيّن نقضهم للعهود وارتكابهم للخيانة العظمى التي استحقّ بها عقوبة القتل الرجال البالغين المتورّطين بالخيانة حصراً.

- التمييز بين الأصول والفروع: الصحيح عند المناقشات أن يتمّ الانطلاق من أصلٍ ليكون مرجع التفكير فيه عند التفريع عليه وإجابة التساؤلات حوله، وليس الانطلاق من الفروع المختلف عليها دون مرجعية تحكم فيها.

لذلك، المطلوب التمييز بين قضايا تتعلّق بأصول أو تتعلّق بفروع، لردّ الفروع إلى أصولها، وترتيب أولويات النقاش بناء على ذلك.

مثال: عند مناقشة منكر وجود الله تعالى عن ادعاءاته في رد القرآن، يلزم بعد الإجابة الإجمالية له، أن يُصار إلى إعادة الحوار إلى دلائل الإيمان بالله تعالى ثم باليوم الآخر ثم بوجود دين، قبل أن نصل إلى دلائل القرآن ككتاب منزل من رب العالمين.

مثال: عند مناقشة الاختلاف بين نصيب الذكر والأنثى في الميراث، تتم العودة إلى عدة أصول:



أصل إيماني: التأكد من إيمان السائل بأركان الإيمان، أو مناقشته فيها أولاً عند انتفائه لأنها أصول الدين.

أصل تشريعي: وهي المقاصد الكبرى التي تُحققها الأحكام. ففي حالة الميراث لدينا عدة مقاصد، منها: توزيع الثروة لعدة ورثة في الأسرة، وتفضيل المستقبل (الأولاد) على الماضي (الأهل) في حصص الميراث، ومراعاة الحاجات والالتزامات والتبعة المالية وقوة القرابة والنصرة في تكبير الحصة.

لذلك ترث أم المتوفى (وهي أنثى) مثل أبيه (وهو ذكر)، قال تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١١]، وهذه الحصة تكون أقل من حصة أولاد المتوفى (أحفادهما).

ويرث الأخ من الأم غير الشقيق مثل أخته من الأم غير الشقيقة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُّورِثُ كَلَّةً أَوْ أَمْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ [النساء: ١٢]، وذلك لعدم وجود التزامات عائلية كون الأخ من الأم غير الشقيق ينتمي إلى عائلة ثانية فلا يلزم بالنفقة والتكافل العائلي كالأخ الشقيق.

أما ابن المتوفى - وهو المسؤول عن الإنفاق على أمه وأخته وزوجته وأولاده في العادة - فيرث ضعف ميراث أخته ابنة المتوفى لعدم تعلق مسؤولية الإنفاق بها، سواء أكانت عزباء أم متزوجة.

أما عن تغير واقع اليوم بما يتناقض مع فطرة المرأة وواجب الرجل تجاه عائلته فليس هو الأصل الذي تتغير له الأحكام.

- التمييز بين المنطق النظري والمنطق الواقعي: عدم الاكتفاء ببناء الفرضيات وإصدار الأحكام بناءً على ما يراه المرء منطقاً مثاليًا؛ وذلك

لعدم واقعية إدراك الإنسان للحياة التي تُكتسب من معاشته لواقعه في تحدياتٍ مختلفةٍ، وإطلاعه على التاريخ وتفاصيل وقوع الأحداث والعوامل المؤثرة فيها.

لذلك، المطلوب التمييز بين النظري والواقعي.

مثال: أطلق صياد النار على عصفورٍ من ثلاثة عصافير على غصن شجرة فأصابه. كم بقي على الغصن؟ جواب المنطق النظري: عصفوران، وجواب المنطق الواقعي: طار البقية من أثر الصوت والحدث.

مثال: عند رفض بعض المثاليين وجود ذكر للقتال في القرآن يتم توجيهه إلى المنطق الواقعي بوجود حالات حرب قائمة وأطماع بشرية لأفراد ومجموعات ودول في غيرها، والسياق الذي ظهر فيه القتال في الإسلام وغايته ونتائجه مقارنة بفرضية عدم استخدامه حينها ومآلاتها من انتشار الظلم وعدم قيام العدل والحضارة.

- المقارنة السليمة: تكون المقارنة بين فكرة وفكرة، أو بين حدثٍ وحدثٍ في تفسير الأسباب ضمن سياقٍ تاريخيٍّ، مع الشمول في النظرة بعدم تقديم مصلحةٍ خاصّةٍ على مصلحةٍ عامّةٍ. والنظر إلى العناصر المختلفة - قيمةً ومصدراً - عند التشابه الظاهري بين نصّين أو حدثين.

لذلك، المطلوب التمييز بين سياق وسياق، فلا تكون المقارنة بين فكرةٍ مثاليةٍ وحدثٍ تاريخيٍّ، أو بين جزئياتٍ مقتطعةٍ من سياقها الكلي.

مثال: من الخطأ المقارنة بين أحداث عنف في السيرة وشعارات نظرية مثالية لا تُطبّق في عالم الواقع. كما من الخطأ المقارنة بين زواج النبي ﷺ من السيدة عائشة وهي في سن التاسعة، مع واقع تأخر زواج النساء اليوم لعوامل تتعلّق بتأخّر نضجهنّ الجسدي أو العقلي أو الأكاديمي. بل المقارنة الصحيحة تكون بدراسة الحدث في سياقه ومقارنته بأحداث عصره،

وسيتبين حينها رقي الإسلام وأحكامه في التعامل مع المخالفين بما لا يشبه مجازر القرون الوسطى التي تطال الأبرياء والمدنيين باسم الدين. كما سيتبين أنه في القرون الوسطى كان سن زواج النساء منخفضاً جداً.

مثال: قيام بعض تلاميذ المستشرقين من المسلمين بتأليف كتابات تُعتمد في جامعات أجنبية في بلادنا تهدف إلى نقد القرآن والإسلام وثوابت الدين بحجة شجاعة التجديد والإصلاح للإسلام! ثم يتبين غالباً أنه مجرد ناقل مقلد لشبهات أساتذته من جهة، وأن الأدوات والأسئلة المثارة لا ترتبط بالقرآن وبسياق ظهوره والاعتناء به بين المسلمين بل بتاريخ نقد الكتاب المقدس في أوروبا (كمناقشات وضع أهداف قومية أو سياسية متأخرة عن نزول النص، أو التأثير بثقافات سابقة وثنية أثناء التدوين، ...).

- لا حاكمية بين الثقافات الإنسانية: لا يُعطى لثقافةٍ حقّ تقييم ثقافةٍ أخرى؛ لأنه استعلاء ممقوت. بل يتمّ تقييم الثقافات وفق أصولها، مع لحظ أثر الظروف المكانية والزمانية في فهم نصوصها وأحداثها. وتكون الحاكمية للدين المنزل عليهما لا العكس.

لذلك، المطلوب عدم إخضاع ثقافة لثقافة أخرى لتقييمها، وعدم إخضاع الدين لذلك بطريق أولى، بل الثقافات تخضع لتقييم الدين لها.

مثال: لأننا نتحدث عن ثقافة وليس عن وحيٍ منزل، فستعرض لثقافة تعدد الزوجات في المجتمعات الأفريقية القبليّة من غير المسلمين. هذه الثقافة لا يستقيم أن تُواجه بالرفض لمجرد أن هناك ثقافة أخرى في مجتمع أجنبي ترفض تعدد الزوجات (فيما تقبل تعدد العشيقات). لأنه لا حق لثقافة أن تُقيّم ثقافة أخرى. وعليه، فلا يُعطى لأجنبي الحق في تقييم ذلك ورفضه لمجرد عدم تبني ثقافته له.

فإذا نزل الوحي بأمر ما، كان هو الحاكم على جميع الثقافات.

- التمييز بين الأصول والنتائج: إنَّ وجود مفسدةٍ في نتائج أصلٍ ما، لا يعني بالضرورة فسادَ هذا الأصل.

لذلك، المطلوب أن لا يتم الربط بين فساد نتائج جزئية وبين فساد الأصل الذي انطلقت منه أو تنتسب إليه لإثباته بناء على ذلك.

مثال: ارتكب بعض الأطباء أخطاءً أدَّت إلى تضرُّر المرضى، فلا يُلتفت لدعاوى المطالبة بإغلاق كلية الطب وحرَق مناهجها مثلاً! وكذلك حال شيوع خرافات أو عادات بدائية مرفوضة في مجتمع المسلمين، فليس معناه أن الإسلام دين خرافات وعادات بدائية.

مثال: وجود أفراد مسلمين أو جماعات عنفية متطرِّفة معتدية ذات أهداف سياسية، لا يعني أن الإسلام دين عنف وتطرُّف واعتداء على المدنيين والأمنين.

- التعرُّف على الآخر من خلال الآخر: إن المصادر الصحيحة لمعرفة الآخر تكون من خلال الآخر، مع الاحتفاظ بحق التقييم، وهذا أحد مبادئ علم مقارنة الأديان. لأنه لا يستقيم أن يقوم البعض بمناقشة دين ما بناء على معلومات لم يكن مصدرها أهله.

مثال: تنتشر أحياناً مقاطع مصوَّرة لمرتدِّين - لا يعرفون الإسلام ولا الدين الجديد الذي دخلوا فيه - يتفنَّنون باتهام الإسلام بما فيهم من عادات نشأوا عليها ومواقف خاطئة ارتكبوها، ضمن تسويق لزعة الإيمان ولتوجيه المشاهد إلى الدين الجديد الذي يعرضه بمثالية غير أمينة أيضاً لواقعه. فلا يستقيم أن يأتي مَنْ شاهدها ليعرضها مسلَّمة أثناء النقاش.



ثانيًا : خصائص القرآن وأدلتها



يتميّز الإسلام بوضوح عقيدته وبساطتها وسهولة الاستدلال العقلي والفطري عليها، بناء على منهج الاستقراء للموجودات لاستنباط الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر. فإذا بنى المسلم إيمانه وفق هذا المنهج كان إيماناً عميقاً لا يهتز بشبهات التشكيك العقدية.

مثال: يتبيّن من دراسة الكون والإنسان وجود الخالق الحي القادر الحكيم العليم^(١) . . . قال تعالى: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهٌ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ

(١) يستقبل الإنسان حياته مدرّجاً إمكان وجوده، وتمهيد الأرض، وإظلال السماء، وتجهيز الثمار، في تطابق مع ملكاته، وفي جهوزية لاستخدامه ولم يقم أحد غير الله تعالى بادعاء كونه خالق الإنسان والكون، كما لا دليل على نفي وجود الخالق رغم محاولات فرض تلك الفكرة، والتي يرد عليها أبسط الحكم الدقيقة في مكونات الخلية الواحدة ووظائفها التي تُشبه المجرة، والتي لا يُمكن أن تأتي مصادفة. وعند التفكّر في خلق الكون من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آغْبُودُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢] نجد التالي:

- من حيث كثافة الأرض: توسّطت تربتها بين صلابة تحمل قدم الإنسان عليه من جهة، وبين مائعة تتمكّن معها النبتة الجديدة الضعيفة من البروز إلى سطحه من جهة أخرى.

- من حيث المسافة بين جرم الأرض والشمس: نجدها تحول دون شدة البرودة بالبُعد عنها أو شدة الحرارة بالقُرب منها.

- من حيث حجم الأرض: نجد المناسبة مع استقامة حياة المخلوقات عليها، فلو كُبرت لزدادت جاذبيتها بما يجعل المخلوقات أكثر التصاقاً بها، ولو صُغرت لضعفت جاذبيتها بما يجعل المخلوقات غير قادرة على متابعة السير عليها.



الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿[البقرة: ١٦٣ - ١٦٤]﴾. فالآيات تعرض الأدلة العقلية على وجود الله ووحدانيته وصفاته^(١).

= - من حيث ثبات السماء: عدم سقوط أجرام تُهدد السكن في الأرض.
- من حيث نزول الماء: نجد أن الماء واحد بلا لون أو طعم أو ريح لتخرج به الثمرات المتنوعة. ولولا هذه الأوصاف الحيادية للماء لكان كل طعام أو شراب نتناوله يتَّصف باللون نفسه أو الطعم نفسه أو الريح نفسه.
- ومن حيث اتحاد هذا الماء مقابل كثرة الثمرات: نجد دليلاً على وحدانية الخالق لكل هذه المخلوقات، إذ خالقها واحد بدليل أن ما يُسقيها واحد.
- ومن حيث الثمرات: نجد أنَّ عناصرها هي ذاتها التي يحتاجها جسم الإنسان، فهما مخلوقان من خالق واحد. وإذا دققنا في هذا البند تبين أنَّ الإنسان لم يوف تلك الثمرات حقَّها، فالفلاح يحرق الأرض ويضع بذرة ويسقي ثم يقطف الثمرة وبيعها للبائع، فليس له دور في تكوينها. أما الخالق تعالى فهو خالق التربة، وخالق البذرة التي وضع فيها قدرة إنبات شجرة، ووضع فيها غذاء يكفي الفرع الأول لها حتى تُخرج جذراً تحت الأرض وورقة فوق الأرض لتُغذي نفسها. وكل هذا هو لأجل هذا الإنسان.

بذلك يتم الانتقال بالتفكير من البصر إلى البصيرة، للوصول إلى النتيجة العقلية: أنَّ هناك خالق. ثم تتعدَّى ذلك إلى استنباط صفات له، فهو رب يرعى ويعتني بهذا الإنسان بعد أن خلقه، وهو واحد كما يدل انسجام تكوين مخلوقاته فيما بينها واتحاد عناصر الحياة فيها (كالماء، فهو عنصر مشترك بين كل المخلوقات، مما يؤكِّد الانسجام فيما بينها ووحدة خالقها)، وهو المحيي بعد أن ثبت عجز الإنسان عن إحياء عناصر التربة لتحويلها إلى كائن حيٍّ واعٍ مدرك، وهو عليم وحكيم وقدير...

(١) الاستشهاد بالقرآن هو لبيان طرحه للمؤمن ولغير المؤمن به، كونه أولى بعرض دليله. أما عن أدلة الإيمان بالقرآن الكريم منزلاً من الله تعالى فترد لاحقاً.

مثال: يتبيّن من التفكّر في التوازن الكوني وجود حكمة وراءه للحساب^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١]. كما أن وجود الحياة اليوم بعد العدم دليل إمكانية وجود الحياة الثانية بعد الموت لهذا الحساب، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

هذا، وتُعد مرحلة الحديث عن الإيمان بالقرآن الكريم تالية لمرحلة الحديث عن الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر وبوجود دين منزل، ولكلٍّ منها مقدّماته ودلائله العقلية. فإن لم تتحقّق هذه الركائز في نفس المدعوّ، فإنه لن تقع أدلة الإيمان بالقرآن في قلبه موقعها الأرسخ.

مثال: مَنْ آمَنَ بالله وباليوم الآخر وفق النماذج السابقة من الدراسة والتفكّر، عليه أن يدرك أنّ هذا الرب كما يعتني به ويرعاه في شؤون عالم المادة، فإنّه يعتني به ويرعاه في شؤون عالم المعنى ومنهج الخيارات المفتوحة أمامه، وهذا هو الدين. لأنّ التربية في حياة البشر أنفسهم - من الوالدين - لا تقتصر على الغذاء المادي دون التوجيه السلوكي. كما أن للبشر أسئلة كبرى في الوجود: البداية، والنهاية، ومعنى الحياة، ودور

(١) لا يُمكن أن ينتظم في تفكير العاقل أن تكون الحياة عبثية لا هدف وراءها ولا حياة بعدها، بل يلزم أن تكون جدية في أهدافها. ودليل ذلك جدية النظام الكوني الذي تُعدّ الحياة الإنسانية جزءاً منه، وهو متّصف بانضباط الأنظمة السائرة إلى أهداف محدّدة. وطالما أن الكون مبني على التوازن وحركته غير عبثية، خلافاً لحياة البشر الاختيارية، فهذا يستلزم إعادة التوازن له في غير هذه الحياة كونه لا يتحقّق دائماً فيها. فإذا أُضيف إلى ذلك أن طموحات البشر أكبر من مدة حياتهم تأكّد وجوب وجود الحياة الآخرة.



الإنسان، وتحديد شكل علاقته مع بقية الوجود (كالإنسان الآخر والحياة والبيئة...). وهو يبحث عن أجوبة لها، وهذه هي الهداية^(١).

وتنقسم أدلة الإيمان بالقرآن الكريم إلى خصائص خارجية وداخلية، وأدلة بيانية وتشريعية وعلمية وغيبية ومنهجية وعقلية:

• خصائص القرآن الكتابية الخارجية:

المقصود بالخصائص الخارجية ما يُميّز ظاهر القرآن ككتاب عن أي كتابات مقدّسة متوفّرة حالياً في بقية الأديان^(٢)، مما يُعبّر بالتالي عن حقائق يجب أخذها بعين الاعتبار من جهة، ويرد على دعاوى مفادها أن جميع الأديان متشابهة في منطق ما لتسهيل الحكم عليها بالنسبية أو التشكيك بها مجتمعة من جهة أخرى. ومن هذه الخصائص:

- لا كتب سرية: لا يوجد في الإسلام كُتب مقدّسة سرية وأخرى

(١) إذا بحث الإنسان عن دين الهدى سيتفاجأ بوجود حوالي ٤,٢٠٠ دين على الأرض. لكن ستخف مفاجأته إذا علم أن أربعة منها فقط هي المنسوبة إلى الإله بوصفها ديانات سماوية، وستخف أكثر إذا علم أن ديانتين منها فقط هما المتاحتان ليدخلها إنسان من غير ذرية معتنقيها: الإسلام والمسيحية.

(٢) ألقت النظر إلى أن التوراة والأنجيل الحالية ليست في إيمان المسلمين هي التوراة والإنجيل المذكورين في القرآن وإن كانت تتضمن بعض نصوصهما، والاستفاضة في ذلك بالأدلة والشواهد خاص بعلم مقارنة الأديان. وما سيرد من مقارنات بين القرآن وبين الكتاب المقدّس في هذا الكتاب هو في سياق رد دعاوى التشابه بينهما الهادفة إلى التشكيك فيها جميعاً، وهذه المقارنات وإن كانت تُعبّر عن حقائق تاريخية أو واقعية إلا أنها لا تُشكّك غير المسلم في دينه بالضرورة - وليس المقصود ذلك من إيرادها - لأن منهجه في بناء الإيمان واعتباره لدور النص فيه يختلف عن منهج المسلم واعتباره لدور النص فيه. وإن كان يُمكن الاستفادة منها في رد بعض دعاوى التبشير المستوردة حين تستهدف شباب المسلمين بتشويه الإسلام دون بيان حقيقة وأبعاد المسيحية كي يرتد إليها المسلم ويحقد على الإسلام وتهدم ثقته به وبالمسلمين.

علنية، خلافاً للعديد من الأديان، حيث فيها كتب لعامة الناس وأخرى خاصة بالحكماء ورجال الدين دون غيرهم، سواء دائماً أو في بعض الحقب التاريخية.

مثال: في اليهودية: ورد في سفر إسدراس الثاني^(١) - الذي لم يرد في التاناكاكاه العبري - رؤيا حول إعادة كتابة الأسفار بإملاء الكاهن عزرا^(٢)، تُفيد أن الشريعة قد أُحرقت - بعد أحداث السبي البابلي ٥٨٦ ق.م - ولم يعد أحد يعرف الأعمال التي صنعها الرب، وأن عزرا طلب من الرب أن يُرسل فيه روحه القدوس لكتابة كل ما صُنِع في العالم منذ البداية (أي: القسم التاريخي)، كل ما كان مكتوباً في شريعته (أي: القسم التشريعي)، لكي يستطيع الناس أن يجدوا طريق الرب. فجاءه الجواب للغد بتهيئة الألواح وخمسة كتبه يقدر أن يكتبوا بسرعة. وفعلاً انفتح فمه وما عاد ينغلق، وكتب الرجال الخمسة ما قاله بترتيب، في أربعين يوماً كتبوا أربعة وتسعين كتاباً، الأولى منها - وهي الأسفار الأربعة والعشرين القانونية - يقرؤها الجميع، والسبعون الأخر لحكماء الشعب فقط^(٣).

(١) رغم عدم ورود السفر في التاناكاكاه (الكتاب المقدس العبري)، وكون مجمع ترنت لم يقبل هذا الكتاب بين الكتب القانونية، ولم تعترف به الكنائس الانجيليكانية، ولم يوجد في الترجمة السبعينية، إلا أنه قد توفرت له عدة ترجمات تدل على أنه كان واسع الانتشار، واقتبس منه الآباء اليونانيين واللاتينيين باعتباره كتاباً نبوياً صحيحاً، وبدت أهميته في الكنيسة الرومانية في العصور الوسطى بإلحاقه بالفولجاتا. وليم بباوي وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة، ١: ٢٢٥ - ٢٢٦، بتصرف.

(٢) المصدر نفسه، ١: ٢٢٦، بتصرف. وستيفن ميلر وروبرت هوبر، تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم، ترجمة وليم ووجدي وهبة، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٢٨، بتصرف.

(٣) الخوري بولس الفغالي وآخرون، مقدمات في الكتاب المقدس، الرابطة الكتابية والمكتبة البولسية، جونية، ط١، ٢٠٠٢م، ص ٥١ - ٥٢، بتصرف.

- وحدة زمن النزول: رغم تعدّد تنزّلات القرآن إلا أنه نزل في زمن واحد من التاريخ، ولم يتنزّل في حقبات تاريخية مختلفة كما هو الحال في غيره، وبالتالي فهناك وحدة جامعة له، وهذا ينفي التأثيرات الثقافية من الحضارات المختلفة عليه عند ادعاء أخذه منها.

- وحدة الرجل المنزل عليه: نزل القرآن على رسول الله ﷺ فقط دون غيره من الناس، وبالتالي فهناك وحدة في مصدر التلقّي، وليس عدة شخصيات متنوّعة كما هو الحال في كتابات مقدّسة عند أديان أخرى.

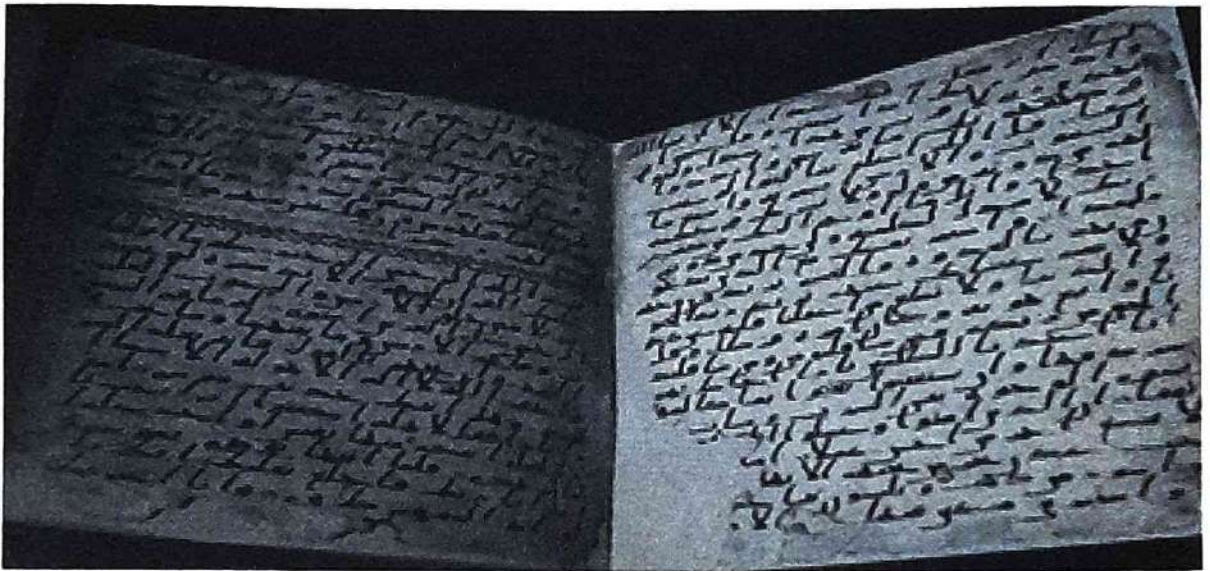
- معرفة الرسول ﷺ: كونه معروفاً باسمه وتاريخه وصفاته (خاصة الصدق والأمانة)، مقابل الجهالة بمصادر العديد من الكتابات المقدّسة في العديد من الأديان.

- إرسالية الرسول ﷺ: تصريح الرسول ﷺ أنه رسول (ودليل ذلك القرآن بأدلته البيانية والتشريعية والعلمية والغيبية والمنهجية القادمة). لكن المهم أنه أعلن كونه رسولاً، وهذا يُعطي شرعية للنص المنزل عليه، خلافاً لمن جاء بنصوص مقدّسة ادعى تنزّلها عليه وليس من الأنبياء، فلا شرعية لها رغم تصنيفها مقدّسة لاحقاً في عدة أديان.

- معرفة كتاب القرآن: مدوّنوا القرآن في عهد الرسول ﷺ من فم رسول الله ﷺ معروفاً، مما ينفي الجهالة عن كيفية تدوينه وهوية المدوّنين. وهذا مفقود في العديد من الكتابات المقدّسة، إضافة إلى الجهل بالنسخ والمترجمين.

- توفر نسخ من المخطوطات القرآنية منذ عصر الصحابة: تعود أقدم نسخ المخطوطات القرآنية إلى القرن الأول، سواء الكامل منها (مصحف متحف توب كابي المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه) أو المقتصر على بعض السور (مخطوطة جامعة برمنغهام Birmingham التي تعود إلى

ما بين ٦٤٥ - ٦٦٨ م). أما المسافة بين أقدم المخطوطات للعديد من الكتب المقدسة كاملة وبين جيل المرسلين فيها فبتفاوت بعضها بين أربعة إلى ثلاثة عشر قرناً وبلغات مختلفة عن لغة المرسلين (سواء أكان جمعاً لأفكار أو نصوص سابقة أو تأليف جديد يُنسب إليهم)^(١). أما في أديان وثنية - كأديان الهند - فتفاوت تدوين تراث مؤسّسها بين قرنين وخمسة قرون.



- انتقال النص القرآني بالحفظ: القرآن كتاب محفوظ ومكتوب، انتقل بالحفظ وبالنسخ، وتواتر انتقاله بمئات وآلاف الحفظة المعروفين بالأسماء في الأجيال الأولى للإسلام.

مثال: أورد ابن الجزري في كتابه «غاية النهاية في طبقات القراء» ٣٩٥٥ اسم علم لصحابة وتابعين وتابعيهم من علماء وأعلام القرآن الذين اشتهروا بتدريسه ونقله. وغني عن البيان أن لكلّ منهم عشرات بل مئات التلاميذ في كل طبقة من طبقاتهم التاريخية.

(١) إن الأمل للوصول إلى الكتاب في جذوره مستحيل، فالمسافة بين المسيح وكتبة الأناجيل بعيدة، وأبعد منها المسافة بين أقوال موسى وما دُوّن عنه. الخوري بولس الفغالي وآخرون، مقدّمات في الكتاب المقدس، ص ١٠٧، بتصرف.



- بقاء النص القرآني باللسان الذي نزل به : ما زال القرآن باللسان الذي نزل به كما قرأه رسول الله ﷺ وصحابته ، خلافاً للعديد من الأديان التي وصلتها ترجمات فقط ، مع ما يُعرف من أثر الترجمة في حرف المعاني وعدم مطابقة دلالات الكلمات والتعابير بين اللغات .

• خصائص القرآن الكتابية الداخلية:

المقصود بالخصائص الداخلية ما يُميز مضمون القرآن عن أي كتابات مقدّسة متوفّرة حالياً في بقية الأديان ، مما يُعبّر بالتالي عن حقائق يجب أخذها بعين الاعتبار من جهة ، ويرد على دعاوى مفادها أن جميع الأديان متشابهة في منطق ما لتسهيل الحكم عليها بالنسبية أو التشكيك بها مجتمعة من جهة أخرى . ومن هذه الخصائص :

- البسملة : يبدأ القرآن بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، وبذلك فهو يدلُّنا على مصدر الشرعية فيه ، أنه من الله تعالى برحمته العظيمة الدائمة ، خلافاً لكتابات مقدّسة أخرى لا تبدأ بهكذا شرعية .

- الكلام فيه من الله تعالى : تظهر في القرآن خطابات مباشرة من الله تعالى إلى الإنسان . ولا يقتصر الحديث عن عرض قصصي عن الله تعالى كما هو الشأن في بعض الكتابات المقدّسة في أديان أخرى ، بل يأتي الخطاب منه مباشرة أيضاً .

مثال : قال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة : ٦٣] .

- نسبة القرآن فيه إلى الله تعالى : يرد في القرآن ذكر أنه من عند الله تعالى ، كما فيه تصريح مباشر من الله تعالى بذلك مع تحديده بهذا الكتاب . مما يُؤكّد وجود كتاب موحى به بحدوده وسوره ، وهذا يختلف عن كتابات

مقدّسة تمّ إعلان أجزائها على مراحل دون وجود نصوص فيها من الله تعالى تنسبها كاملة (كشكل الكتاب الحالي) إليه .

مثال: قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ لَعَلَّكُمْ لَذَكْرُونَ﴾ [النور: ١] .

- تحقيق غرض الهداية: يهدف القرآن إلى هداية هذا الإنسان، خلافاً لكتابات تهدف بكلّيتها إلى أهداف دنيوية كحق شعب مختار في أرض ليست له أو إخضاع طبقة من المجتمع لأخرى .

مثال: إن مضمون ما جاء في التقليد اليهودي هو أنه سواء أكان اليهود مكرّسين لإلههم أم لم يكونوا، فإنه هو مكرّس لهم؛ لا بدّ أن يُعاقبهم على خطيئتهم، لكنّه سيغفر لهم ويستردّهم^(١). لذلك تُعدّ الفكرة المركزية المصرّح بها أو المستنبطة عند جمع الأفكار الأساسية لأسفار التاناكاه (اسم الكتاب المقدّس العبري لليهود) أنهم: شعب الإله المختار، الذي يعصيه فيُعاقب، لكن الإله لن يتخلّى عنه، وسيُعطيهِ الأرض^(٢).

(١) الأب اسطفان شرينتييه، تعرّف إلى الكتاب المقدس، ترجمة الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ط٦، ٢٠٠١م، ص٣٦، بتصرّف.

(٢) تتضح علّة فلسفة الأرض الموعودة لشعب الإله لدى اليهود، والتي تُسيطر على مضامين أسفار كتابهم عند معرفة سياق الكتابة، فقد سجّلوه أو نقّحوه أثناء السبي وبعده، وهذا بالضبط ما كانوا في حاجة إلى سماعه كمصدر للرجاء لأنفسهم وكتحذير مقدّس للأجيال التالية، فساعدتهم ذلك على الاحتفاظ بإيمانهم وتجديد عهدهم باتّباع شرائع إلههم واستعادة هويّتهم القومية. ستيفن ميلر وروبرت هوبر، تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم، ص٣٥، بتصرّف.

ومع أن بني إسرائيل دخلوا الأرض في عهد يشوع بعد موسى، إلا أن التوراة الحالية كجزء من التاناكاه لم تُورد ذلك ضمنها، بل وُضِعَتْ كوعد مفتوح على المستقبل =

مثال: في الهندوسية قسّم الدين الآري (دين الغزاة الذين دخلوا الهند في القرن ١٥ ق.م) الإنسان الهندي تقسيمًا أبدئيًا حسب نسبه إلى أربع طبقات، وجعل لكل طبقة أحكامًا ووظائف لا تتجاوزها، مخافة الاندماج وحفاظًا على سلامة العرق. فخصّص جميع أعمال الشرف والكرم لطبقة البراهمة (من أصول آريّة) وجعلها في أعلى الطبقات البشرية وزعم أن وجودها مستمد من وجود البراهما (الخالق)، وصاغوا الفيدا (الكتاب المقدّس الهندوسي) المصدر الأساسي لخلق هذه الطبقات في القسم الأول منه (الريج فيدا) وتمّ تفصيل أحكام كل طبقة في كتابهم (منو إسمرتي). فيما جعل الشُودرا المنبوذين (أصل سكان الهند الذين حاربوهم ألف سنة قبل الاستسلام) في أرذل الطبقات البشرية وجردّهم من جميع الخصال الإنسانية (أذل من البقرة المقدّسة). فكانت النتيجة أن أصبح الغازي مقدّسًا والمغلوب نجسًا^(١).

• أدلة القرآن البيانية^(٢):

هي تعبير عن إعجاز نظم القرآن وألفاظه ومعانيه، وتتميّز عن بقية الأنواع أنّه مستوعبة في كل القرآن، وتظهر في:

= وبرنامج لم يُنفذ وبقيت على مستوى الانتظار. يُراجع: الخوري بولس الفغالي وآخرون، مقدّمات في الكتاب المقدّس، ص ٣٥ - ٣٦، بتصرّف.

(١) د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ص ٥٦٥ - ٥٦٧ و ٥٧٢ - ٥٧٤، بتصرّف. ود. أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١١، ٢٠٠٠م، ص ٥٤ - ٥٥، بتصرّف.

(٢) تمّت الاستفادة من بعض بنود العنوان من كتب: د. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، ط ٦، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م؛ وعباس العقاد، اللغة الشاعرة، مؤسسة هنداوي، القاهرة، دط، دت.

- القوة المستحكمة في الألفاظ والأساليب (جزالة القرآن): وتظهر في عظمة الخطاب وثمراته التي لا تصح من مخلوق بحال.

مثال: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ﴿[البقرة: ٢١ - ٢٢]. أمر الله تعالى للناس بعبادته وعرض أدلة عقلية من نسبة فعل الخلق إليه وتصرفه في الأرض ورعايته للخلق.

بالمقابل: قوله تعالى حكاية عن أقوال فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَكْفُرُونَ أَنِّي لِصَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُوهُ﴾ (٣٦) أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا ﴿[غافر: ٣٦ - ٣٧]. أمر فرعون لمن يُساعده وضعفه.

فجزالة القرآن في قوة كلام الله تعالى الخالق الرازق القادر، والذي لا يُمكن لأحد غيره أن ينسب ذلك لنفسه، مقابل إثبات ضعف أقوال فرعون من خلال كلماته في افتقاره لمن يُساعده وحاجته إلى الأسباب واعتماده على الظنون.

- النظم البديع المخالف لكل نظم معهود: فليس نثرًا أو شعرًا، ولو ظنَّ البعض اقترابه من الشعر، فليست الفواصل^(١) كالقوافي.

مثال: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [مريم: ٣٤]، تُمثل تلك الآية بداية التعقيب على قصة السيدة مريم وعيسى عليهما السلام، فجاء التعقيب بفاصلة (إيقاعها: أون/إيم/إين) مختلفة عن الفاصلة السابقة (إيقاعها: إيَّا). فالفاصلة الأولى تُشعر بالاستقرار الممتد

(١) المراد بها: آخر إيقاع صوتي في الآية.

في العَرَض (حرفا الياء^(١) والألف^(٢)) الذي يُناسب معنًى مشتركاً بين القَصَّتَيْن يتمثل في رحمة الله الوهاب عند انقطاع الأسباب، بينما الثانية تُشعر بعمق ممتد داخل النفس (حرف الواو^(٣) أو الياء مع النون^(٤)) أو الميم^(٥)) الذي يُناسب عرض حقائق وأحكام مع التسليم بها. وهذه الفاصلة الأخيرة نجدها في مواضع عرض الحقائق والأحكام في القرآن، كما في سورة النساء، حيث الفاصلة هي الألف الممدودة عدا في مواضع عرض أحكام الميراث فتنتهي بهذه الفاصلة.

- القصد في اللفظ والوفاء بالمعنى: عند مقارنة عدد الألفاظ (الكم) بعمق الدلالات (النوع).

مثال: قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] حيث يتم

(١) يُستنبط معنى الياء من كلمة (أي) التي تعني بقاء الشيء في مكانه شاخصاً علامة لشيء، فيُعبّر عن اتصال الممتد شيئاً واحداً. د. محمد حسن حسن الجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠م، ٣٩/١ و ٤/٢٣٣١. كما يصلح أن يكون مقراً للمعنى. حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العربي، دط، ١٩٩٨م، ص ٩٩.

(٢) تُضفي الألف اللينة على الكلمة خاصية الامتداد في المكان أو الزمان. حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٩٥ - ٩٧.

(٣) يُستنبط معنى الواو من كلمة كلمة (أوى) التي تعني الضم، ومنه معنًى الاشتغال والاحتواء. د. محمد حسن حسن الجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ٣٨/١ و ٤/٢٣٢٩. ومن الصوت ينتج معنى الاتجاه (امتداداً) إلى الأمام. حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، ص ٩٧ - ٩٨.

(٤) يُستنبط معنى النون من كلمة (نون) التي تعني امتداداً لطيف في جوفٍ أو منه. د. محمد حسن حسن الجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ٣٧/١.

(٥) يُعبّر حرف الميم عن تضامٍ أو استواءٍ ظاهريٍّ لشيء أو على شيء. د. محمد حسن حسن الجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، ٣٧/١.

تقديم المعنى الوافي في عبارات قليلة. ففي هذا الجزء من الآية: تشريع كل أنواع القصاص (من الجرح إلى القتل)، وإعلام أنه نافع لنا ولمصلحتنا فرداً ومجتمعاً، وأن فيه حياة مطلقاً دون تحديدها بجانب. مقابل ضعف العرب الفصحاء عن الوفاء بهذا المعنى في عبارتهم التي اختاروها (القتل أنفى للقتل)، إذ فيها تكرار لكلمة القتل، وتناقض ظاهري في أن القتل يمنع القتل، واقتصار على عقوبة واحدة لجريمة واحدة (هي القتل فقط دون بقية الجرائم) وعدم كونه دقيقاً لأنه لم ينفِ القتل في واقع الحياة.

- خطاب العامة وخطاب الخاصة: لا يقتصر خطاب القرآن على شريحة دون أخرى، بل يُخاطب القرآن الإنسان في فطرته وحقيقة كيانه الثابتة، مما جعله يُخاطب الناس جميعاً مهما اختلفت عصورهم ومستوياتهم الفكرية والثقافية واستعداداتهم الذهنية.

مثال: قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) تُوَلَّى كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ يَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقَنَّاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ﴿﴾ [النبا: ١ - ١٧].

حيث تم الاستدلال على حقيقة يوم القيامة من خلال آيات الكون (الآفاق) والإنسان (الأنفس) التي يراها كل إنسان ويفهمها مهما كان عصره ومستواه، فتعرض: تهيئة الأرض للحياة عليها كلُّ يُدركها، وكلما تتقّف الإنسان أكثر أو تخصص علمياً أدرك من دقائق هذه التهيئة بالتفاصيل (المسافة بين الأرض والشمس لتوازن الحرارة، وكثافة الأرض لمناسبة الجاذبية للإنسان، ونسبة الأوكسجين في الهواء، ودور النبات، ...).

- إقناع العقل وإمتاع العاطفة: خطاب القرآن يُخاطب كيان الإنسان بعقله وشعوره، دون الاختصار لى جانب واحد فقط.

مثال: قوله تعالى: ﴿رَجَالٌ لَا نُلِهِم بِحَرَّةٍ وَلَا بَيْعٍ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (٣٧) لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ. وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُم كَسْرَابٍ يَاقِعَةٍ يَمَسُّهُ الْظُّلْمَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ لَمْ يَكْدِ يَرْنَهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿[النور: ٣٧ - ٤٠]. حيث يستشعر القارئ تقلُّب قلبه بين مشاعر الخوف والرجاء في مختلف مواقف يوم القيامة ومشاهداته، ويتخيَّل أحداث هذا اليوم الذي تتقلَّب فيه أبصاره أيضًا، فيعزم على أن يكون ممَّن أحسن العمل الوارد في الآية بعدم الالتواء عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ويحذر شعور المفاجأة من انقطاع أمل المعتمد على سراب أو شعور التخبُّط الأعمى فكريًا ونفسيًا وقلبيًا في أمواج الشهوات والأهواء الحاجبة عن نور الهداية.

- تألف الألفاظ مع المعاني ودقة أداء الألفاظ: دقة تعبير القرآن عن المعاني المطلوبة وانسجامها في الآيات فيما بينها.

مثال: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا مَسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ [الأنبياء: ٤٦]، حيث نلاحظ تناسب الكلمات في أداء معنى عدم إمكانية تحمُّل أقل أنواع العذاب في النار من خلال كلمات: المس (أضعف أنواع الاتصال)، والنفخة (أضعف من النفخة أو من اللهب)، وتبعيض حرف الجر (من) للتعبير عن الجزئية، ونسبة العذاب إلى الرب (وأصل عذاب المربِّي ليس للانتقام والإهلاك).

- المجازية: البلاغة المفيدة لإمكانية تخيُّل الفعل للتفاعل معه.

مثال: قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] يتم فيها استشعار العلاقة بين الرجل والمرأة أنها كاللباس في الملازمة، والستر، والإحاطة، والتكامل (وفق الحجم)، والتجمل.

مثال: قوله تعالى: ﴿فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ [النحل: ١١٢] يتم فيها استشعار معنى العقوبة بكونها إذاعة للباس أحاط بالإنسان، فاستشعر القوم الجوع والخوف في جميع أبدانهم.

- التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به مخلوق: فنلاحظ البلاغة في استعمال الصيغ اللغوية.

مثال: الأصل في الفعل الماضي أنه يدلُّ على الحدث الذي وقع، لكنه يُستعمل في القرآن للدلالة على أزمنة متعدّدة^(١)، ومنها في «التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي»^(٢)، وذلك لإنزال غير المتيقّن منزلة اليقين وغير الواقع منزلة الواقع، كقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَّعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]^(٣).

- تحويل اللغة إلى لغة دين وإيمان: من دراسة الأدب الجاهلي يُلاحظ أن اللغة العربية لم تكن تُستخدم للدلالة على جوانب إيمانية، فلما نزل القرآن جعلها لغة دين وإيمان بأقصى تفاصيل إيمانية لا توجد في دين آخر، كما جعلها لغة العلوم والمعارف^(٤). فظهرت دلالات جديدة عن المعهود العُرفي للعرب حينها. وهذا في العادة عند إمكانه فإنه يتطلّب تراكم عدة

(١) د. فاضل السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك، ط ٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، ٢٦٧/٣، بتصرف.

(٢) الزركشي محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، ٣٧٢/٣.

(٣) د. فاضل السامرائي، معاني النحو، ٤/٤٧، بتصرف.

(٤) د. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، ص ١١٨، بتصرف.



أجيال في حياة البشر لتبدأ الدلالات الجديدة في الظهور وتتألف مع الكلمات والتعابير المناسبة.

مثال: دلالات الصلاة والزكاة المختلفة اصطلاحياً عن عُرف العرب اللغوي في القصد منها.

إضافة إلى ما سبق، يتبين لقارئ القرآن الحكيم البالغة فيه، وهذه لا تكون في أي كتاب، كما التناسب في جميع ما تضمنه القرآن ظاهراً وباطناً من غير اختلاف.

• أدلة القرآن التشريعية:

هي تعبير عن إعجاز ما تضمنه القرآن من الأحكام في تشريع شامل ومتسامي ومتسق وموافق للفترة، يؤكد القيم المعلنة في مكة دون تناقض معها عند الوصول إلى السلطة (كما يحدث عادة في التاريخ)، ويعد أعدل حكم واقعي في بساطته. ويتميز عن بقية الأنواع أنه مستوعب لجميع عقلاء البشر. وتظهر في:

- شمول مجالات الأحكام: شملت الأحكام أبواب العبادات والمعاملات والزواج والموارث والجنايات والحروب... رغم أمية العرب وعدم أخذها من حضارات سابقة أو معاصرة لنزول الأحكام.

- صلاحية الأحكام كأساس تشريعي غير وقتي: فليست الأحكام مرتبطة بواقع الصحراء أو عادات ضيقة أو مستوردة من الحضارات السائدة حينها، رغم أن العرب أمة أمية. بل الشريعة الإسلامية صالحة للتطبيق على اختلاف الزمان والمكان، وقد أعلن ذلك علماء القانون المتخصصون في المؤتمرات القانونية الدولية. فقد ورد في مؤتمر الحقوق المقارنة في لاهي المنعقد في آب ١٩٣٧م أن الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام، وهي حية قابلة للتطور، وهي تشريع قائم بذاته ليس مأخوذاً عن

غيره^(١). بل وورد في البيان الختامي لأحد مؤتمرات المجمع الدولي للحقوق المقارنة في باريس المنعقد في تموز ١٩٥١م، ما نصّه: «إن اختلاف المذاهب الفقهية ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات والأصول الحقوقية، هي مناط الإعجاب، بها يستطيع الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة وأن يقوم بالتوفيق بين حاجاتها»^(٢).

- انسجام منظومة أحكام القرآن ومقاصدها: تُحقّق الشريعة جلب المنافع ودرء المفاسد عبر أحكام تحفظ الدين، والمراد بها: وحرية المعتقد ضمن النظام العام، والنفوس، والمراد بها: الحياة والكرامة، والعقل، والمراد به: الوعي، والعرض والنسل، والمراد بها: الآداب والعلاقات الجنسية والسمعة، والمال، والمراد به: الملكية.

- التدرّج التشريعي في النزول: نزلت الأحكام تُراعي واقع الإنسان ودوافعه للسمو به وبقلبه إلى أفضل حال. فنزلت كثير من الأحكام بالتدرّج، سواء في الفروض كالصلاة والصيام، أو في المحرّمات كالخمر والربا. وذلك في تدرّج تربوي يسوس النفس والمجتمع شيئاً فشيئاً بشكل متزايد للتعلق بالفضائل والنفور من الرذائل.

- حاكمية القيم: بدأ إعلان القيم والمبادئ في مكة، يتصدّرها اجتماعياً دعم الضعفاء وتمكينهم، فلما حدثت الهجرة إلى المدينة كانت الأحكام الشرعية منسجمة في تفصيل هذه القيم وحمايتها، فلم تكن برنامجاً للوصول إلى السلطة ليتم التخلّي عنه لاحقاً كما درجت العادة في كثير من البلاد.

(١) د. سمير عاليه، علم القانون والفقه الإسلامي، دار مجد، ص ٢٥ - ٢٦، بتصرّف.

(٢) مصطفى الزرقا، المدخل الفقهي العام، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م،

ص ٢٣ - ٢٥، بتصرّف.

- الكفارات الاجتماعية: بعض الأحكام كفارتها عند نقضها ذات بُعد اجتماعي يرتبط بشكل وثيق في سياق دعم الضعفاء في المجتمع، كتحرير العبيد والذباح للإطعام والإنفاق للصدقات. وهذا جانب يُميّز الأحكام ويؤكد الجانب الاجتماعي للدين وعدم اقتصره على طقوس فردية تجاه الخالق.

- عدم التأثر بأمراض عصر النزول: والتي كانت منتشرة حينها وسائدة (مع وجود استثناءات)، كالقول بعدم أهلية المرأة للتملُّك، واقتصار الإرث على الابن الأكبر في العائلة لحفظ الثروة، وعدم السماح للآخر باختيار دين غير دين الحاكم، وعدم تجاوز سلطة القاضي لسلطة الحاكم، والاقتصار على طقوس عند التعاقد بين الناس، وعدم استقلالية خزينة الدولة عن ذمة الحاكم، وعدم الإنذار قبل محاربة المعاهدين (بل تُنقض العهود كآلية حربية)، . . .

• أدلة القرآن العلمية:

هي تعبير عن إعجاز ما تضمّنه القرآن من العلوم والمعارف، وما لا يحتويه من النظريات السائدة في عصر تنزيله والتي ثبت خطؤها لاحقًا. علمًا أن أصول حديث القرآن عن الكون والإنسان الغرض الأكبر فيه هو هداية الناس بالأمر والحض على النظر في مظاهر الكون والظواهر الإنسانية وجانب من تاريخ الإنسان مع الرسائل كعبرة للعقلاء، تجمع بين الإجمال والتفصيل وتدل على أن الكون مُسَخَّر للإنسان. وهذا الإعجاز موجود في كل ما ثبت من حقائق علمية أورد القرآن ذكر مجالاتها ولم تكن معروفة في عصر نزول القرآن، وهو لا يتوفّر في غيره، لأن الحضارات التي ذكرت في تراثها شيئًا بسيطًا من تلك الحقائق قد جمعتها مع كثير من النظريات الخاطئة. مع التأكيد على «عدم وجود اختلاف أو تناقض في

القرآن، أو بين نص قطعي الدلالة أو تفسير قاطع له وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية»^(١).

- آيات الآفاق (الكون): عرض القرآن الحقائق العلمية (وليس النظريات) في الظواهر الكونية بدقة.

مثال: تاريخ النحل في اتخاذ بيوتها في الجبال بداية ثم في الشجر ثم في العريش في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

مثال: أثر التصعد في السماء على ضيق التنفس كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

مثال: الاختلاف بين الضوء (ذاتية الإضاءة) والنور (كعاكس للضوء فقط) في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥].

مثال: كون مكان المعركة بين الفرس والروم في أدنى الأرض انخفاضاً في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢ - ٣].

مثال: كون الجبال تحتها كتلة صخرية هائلة عميقة أسفل منها في قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْدَادٌ﴾ [النبا: ٧].

مثال: وجود البرزخ بين الأنهار المختلفة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَجَّ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٥٣].

- آيات النفس (الإنسان): عرض القرآن الحقائق العلمية (وليس النظريات) في الظواهر الإنسانية بدقة.

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، ص ٢٢٥ - ٢٣٦، بتصرف.

مثال: اختلاف البصمات في دقّتها في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ [القيامة: ٤].

مثال: تحريم الخنزير والخمر وقد ثبت مضارُّهما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ [المائدة: ٣]، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

مثال: أهمية ظاهرة النوم للإنسان في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

مثال: التوجيه إلى الرضاعة لأهميتها للإنسان في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَن أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

مثال: دقة ذكر أطوار الجنين في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

• أدلة القرآن الغيبية:

هي تعبير عن إعجاز ما تضمّنه القرآن من أخبار غيبية لم تكن معروفة في عصر النزول، ويظهر ذلك في:

- الإخبار عن الأمور المغيَّبة في الماضي: ذكّر القرآن لحقائق تاريخية.

مثال: لقب «الملك» لحاكم لمصر في عهد يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيَنِي بِهِ؟﴾ [يوسف: ٥٠]، وهو لقب مختلف عن لقب «فرعون» في العهود المصرية القديمة في قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنُ ذِي الْأَوْنَادِ﴾ [الفجر: ١٠] عند تأويلها بقدم الحكم فيهم، وعن لقب «فرعون» أيضًا في

عهد موسى ﷺ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ [الأعراف: ١٠٣].

- الإخبار عن الأمور المغيَّبة في الحاضر: ذكر القرآن لوقائع في حاضر الدعوة.

مثال: كشف أسرار ومكائد خصوم الدعوة في السيرة

مثال: تكذيب وعود المنافقين لليهود.

- الإخبار عن الأمور المغيَّبة في المستقبل: ذكر القرآن لأحداث مستقبلية.

مثال: هزيمة الجَمع ببدر قبل ١٠ سنوات منها في قوله تعالى: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥].

مثال: غلبة الروم على الفرس قبل سبع سنوات منها، وتلازم ذلك مع فرح المؤمنين بنصر الله تعالى في الحديبية^(١) في قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٢ - ٥].

مثال: دخول المسجد الحرام بأمان قبل عام منه في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ

(١) ورد في رواية ابن عباس ؓ: ظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين. أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله، دلائل النبوة، تحقيق د. محمد رواس قلعه جي وآخرون، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ١: ٣٥١، ح: ٢٤٣، بتصرف. ويُرجَّح هذا الرأي رواية الصحيح أن هرقل كان في إيلياء (بيت المقدس) شكراً لله تعالى على انتصار الروم على الفرس حين جاءه كتاب النبي ﷺ المكتوب بعد العودة من الحديبية. مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت، ٣: ١٣٩٧، ح: ١٧٧٣.

رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿[الفتح : ٢٧].

مثال: غزوة خيبر بعد الحديبية ثم حروب الردة بعد وفاة رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعَكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح : ١٥ - ١٦].

• أدلة القرآن المنهجية:

- الاستقراء:

يقوم القرآن على منهج الاستقراء، وهو منهج البحث في الطبيعة ودراستها باستخدام الحواس. وقد انتهجه القرآن لزرع الإيمان في عقل الإنسان وقلبه.

هذا المنهج هو جوهر المنهج العلمي الذي يقوم عليه العلم الحديث في اكتشاف المعادلات العلمية لبناء الحضارة، وهو أهم ما أضافته الحضارة الإسلامية إلى العلم الإنساني. لأن الفلسفة الأفلاطونية المحدثة التي تُنكر قيمة العالم المادي كانت قد أثرت تأثيراً واسعاً في ديانا الشرق الأدنى القديم. ويعود سبب بروز هذه الفلسفة وانتشارها إلى الأحوال الروحية التي كان يُعانيها الناس في ذلك العصر والتي دفعت إلى إيجاد مذهب يدعو إلى التخلص من الوجود الخارجي كونه شراً لا خير فيه^(١).

(١) عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٠م، ص ١١٦، بتصرف.

وهنا يكمن الإعجاز أن نزول القرآن كان في القرون الوسطى الأوروبية التي لم يكن منهج الاستقراء فاعلاً فيها أو مطبقاً، فجاء القرآن به لبناء الإيمان والحضارة دون استيراده من غيره.

- التفصيل في الإثبات والإجمال في التنزيه:

يُفَصِّل القرآن في قضايا إثبات الصفات لله تعالى، فتكثر في القرآن الآيات التي تُثبت له صفات الرحمة والحياة والقيومية والعلم والحكمة والقدرة... مع أدلتها من آيات الكون والإنسان والتاريخ.

بالمقابل، يُجمل القرآن في تنزيه الله تعالى عمّا لا يليق به، فتقلّ الآيات التي تنفي عن الله مشابَهته لمخلوقاته دون تفصيل فيها.

هذا المنهج يدل على أن القرآن من عند الله تعالى، لأن منهج الفلاسفة في البحث عن الغيبات يقوم على العكس من ذلك تماماً، إذ يقومون بالتفصيل في مسائل التنزيه بالإكثار من نفي الاحتمالات غير المناسبة للإله، فيما يقومون بعمومية تأكيد فرضيات حول إثبات الصفات الواجبة لله تعالى^(١).

• الأدلة العقلية: الاحتمالات في نسبة القرآن وبيان ما يرد عليها:

بالانتقال إلى الأدلة العقلية، يبرز المنطق التالي في نسبة القرآن الكريم: هل يكون كلام الرسول ﷺ ونسبه هو إلى الله تعالى، أم يكون كلام بشر غيره تأثر الرسول ﷺ به، أو يكون كلاماً من عالم الغيب ولكن من مخلوقات كالجن، أو يكون من الشياطين، أو يكون منقولاً عن أهل كتاب أو عن فلاسفة؟ ولا يبقى وراء ذلك إلا أن يكون وحياً منزلاً من الله تعالى:

(١) يُراجع: أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، دار القلم، الكويت، ط ٢، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ص ٢٦، بتصرف.

- كلام بشر (الرسول ﷺ): هذا الاحتمال لا يستقيم لعدة أسباب:

أ - وجود توجيهات إلى النبي ﷺ في القرآن: كما في عتابه له في قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَىٰ ۖ ﴿٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ۖ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبَ ۖ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۖ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۖ ﴿٩﴾ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۖ ﴿١٠﴾ كَلَّا ۖ ﴿١١﴾﴾ [عبس: ٥ - ١١]، وأمره ﷺ بذكر المشيئة «إن شاء الله» في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۖ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۖ﴾ [الكهف: ٢٣ - ٢٤].

ب - كون موضوعات القرآن مختلفة عن حياة النبي ﷺ وأكبر من بيئته (مجتمعات أو أفراد): فورد في القرآن ذكر لحضارات قديمة كالحضارة المصرية في عهد يوسف وموسى ﷺ. كما ورد ذكر شخصيات مقدسة كمریم، فيما لم يرد ذكر خديجة زوج النبي ﷺ الأقرب إليه. كما ورد ذكر سارة وزوجه إبراهيم ﷺ فيما لم يرد أي ذكر لهاجر أم إسماعيل جدّة العرب.

ج - اختلاف أسلوب القرآن عن أسلوب النبي ﷺ الوارد في الحديث النبوي^(١):

* أما أسلوب الحديث النبوي:

فجاء على الأسلوب المعتاد للعرب في التخاطب. تتجلى فيه لغة المحادثة والتفهم والتعليم والخطابة في صورها ومناهجها المألوفة لدى العرب، ويُعالج جزئيات القضايا والمسائل ويُجيب عنها، ويُحاور ويُناقش كما يتخاطب سائر الناس بعضهم مع بعض. ولكنه يتميز عن الكلام العربي المألوف بأن فيه لغة منتقاة غير نابية، وأنّ فيه إحكامًا في التعبير، وجمعًا للمعاني المقصودة بأوجز طريق وأقربه دون حشو، ممّا استحق به التسمية بجوامع الكلم.

(١) مصطفى الزرقا، «مقارنة بيانية بين أسلوب الحديث وأسلوب القرآن»، نقلًا عن: موقع

رابطة علماء السنة: <https://www.rabtasunna.com/4181>.

فهو كلام عربيّ من الطراز المعتاد المألوف، ولكنّه على درجة عليا من أساليب البلغاء المعهودة.

* أما أسلوب القرآن الكريم:

فهو أسلوب مبتكر لا يجد الناظر فيه والسامع شبيهاً له فيما يُعرف من كلام العرب وأساليبهم.

يُعالج الكليات ويفرض الأحكام ويضرب الأمثال ويؤجّه المواعظ، في عموم لا تُشبهه العمومات المألوفة، وخطاب فيه من التجويد ما يجعل له طابعاً منقطع النظير. فلو أخذ قانون تشريعي وقُورن بأحكام القرآن الآمرة الناهية، لما كان له به شبه في الأسلوب أصلاً، ولو اتّحد موضوع الأمر والنهي فيهما. وإذا أخذ كتاب تاريخ وقُورن بما في القرآن من قصص تاريخي، لما وُجد أيضاً بينهما شبه في الأسلوب، ولو أنهما عالجا قصة واحدة. ولو أخذ كذلك كتاب مواعظ وأخلاق وقُورن بما في القرآن من مواعظ، لما كان بينهما أيضاً شبه أصلاً في الأسلوب، ولو اتّحد الموضوع. وهكذا لا يمكن أن يجد الباحث كلاماً، أو كتاباً في اللغة العربية يُمكن أن يتّحد أو يتشابه أسلوبه وأسلوب القرآن.

فهو صورة جديدة مبتكرة في البيان العربي، جارية على قواعد العرب وطريقتهم في التركيب، ولكنّه يختلف عنها كلّ الاختلاف في الأسلوب.

- كلام بشر (غير الرسول ﷺ): هذا الاحتمال لا يستقيم لعدة أسباب:

أ - وجود تحدّي في القرآن عن الإتيان بمثله: وما يعنيه من أنواع الإعجاز السابقة التي تمّ عرضها وتفصيلها في «خصائص القرآن» و«أدلة القرآن». فهو أكبر من بيئة البشر.

ب - موقف هذا الإنسان من نسبة القرآن إلى غيره: كيف يقوم غير



الرسول ﷺ بتأليف نص بهذا الإبداع - مع استحالته - ويؤكد مستجدات الدعوة ومطلوباته من التوجيهات، ثم يتركه لينسب إلى غيره!

- مس من الجن: هذا الاحتمال لا يستقيم لأن نزول الوحي على النبي ﷺ كان باستقرار وسكون يتبعه حفظ متقن، ولا يشبه هذا واقع حالات المس من الجن.

- كلام شيطان: هذا الاحتمال لا يستقيم لأن الشيطان مهمته الإبعاد عن الله تعالى ورحمته، فلا يتوقع من نتاجه أن يكون كتاب هداية يأمر بالخير وينهى عن الشر ويحذر من الشيطان ومكائده ويلعنه، بل وكان السبب الأساسي في إخراج الحضارة الإسلامية التي ارتقت بالإنسانية.

- نقل عن أهل الكتاب: إن النبي ﷺ أمي، وعليه فهو لم يتعلم من أهل الكتاب، ولم يتأثر ببحيرا الراهب في اللقاء الوجيز به، ولا بورقة بن نوفل الذي توفي بعيد النزول الأول للوحي. وما ذكره القرآن بما يتعلق مع أهل الكتاب كان أصولاً مشتركة بين الرسالات (كالوحي والتوحيد ونبد الأصنام ورجولة الرسل ووراثة الأرض للصالحين) ذكر فيها اشتراكها مع أهل الكتاب. وقد أكد القرآن نبوءات لأهل الكتاب في الوقت الذي خالفهم في كثير من المعتقدات والقصص والأسلوب.

مثال: فيما يختص بالنبوءات في التوراة الحالية، فقد ورد في سفر التثنية ٣٣: ٢ في نسخة RSV:

"The Lord came from Sinai, and dawned from Seir upon us; he shone forth from Mount Paran, he came with ten thousands of saints, from his right hand went a fiery law for them".

وترجمته: «جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعيير، وتلألاً من جبل فاران، وجاء معه عشرة آلاف قدّيس، وعن يمينه نار شريعة لهم». فإذا علمنا أن فاران هي المكان الذي أقام فيه إسماعيل (وفق سفر التكوين ٢١: ٢١)، تبيّن أن النص يتناول نزول الوحي على موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

مثال: فيما يختص بالنبوءات في أحد الأناجيل الحالية، فقد ورد في إنجيل يوحنا ١٦: ١٣ - ١٥ في نسخة RSV:

"When the Spirit of truth comes, he will guide you into all the truth; for he will not speak on his own authority, but whatever he hears he will speak, and he will declare to you the things that are to come. He will glorify me, for he will take what is mine and declare it to you".

وترجمته: «عندما يأتي روح الحق، يُرشدكم إلى كل الحق. لأنه لا يتكلّم من تلقاء نفسه، بل يتكلّم بكل ما يسمعه، ويُخبركم بما سيأتي. يُمجّدني لأنه يأخذ ما لي ويخبركم به».

وقد وردت خمس مقاطع من إنجيل يوحنا فيها وعود من المسيح عن مجيء روح الحق، لكن ليس هناك دليل من العهد الجديد يُثبت تحقّق هذا المجيء بالخصائص الواردة في جميعها بُعيد عصر المسيح. كما أنّ المسيح «تحدّث فيها عن الروح كشخص، باستخدام الضمير المذكّر، مع أنّه بحسب قواعد اللغة اليونانية يلزم استخدام الضمير اللاشخصي Neuter Pronoun لأنّ كلمة روح في اليونانية وهي Pneuma تأتي ضميراً لا شخصياً»^(١). كما

(١) هـ. ل. هايكوب، الروح القدس أقنوم إلهي، تعريب ثروت فؤاد، القاهرة، مركز المطبوعات المسيحية، دط، ١٩٨٨م، ص ٢٠، بتصرّف.



أنَّ اللَّفْظَةَ الْأَصِيلَةَ هِيَ «بِيرَاقْلِيْطَا»، وَإِذَا «حُرِّفَ نَظَقُهَا قَلِيلاً أَصْبَحَتْ «بِيرِيْكَلِيْط» وَمَعْنَاهَا الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ لَفْظِ أَحْمَدُ»^(١). مِمَّا يَتَقَارَبُ مَعَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

- نقل عن فلاسفة: هذه قد بان عدم استقامتها عند الحديث في الأدلة المنهجية عن منهج القرآن المخالف للفلاسفة في اعتماد:

أ - الاستقراء.

ب - التفصيل في الإثبات.

ج - الإجمال في التنزيه.

وبعد رد بقية الاحتمالات، يتبيّن أن القرآن وحي إلهي تُؤيِّده خصائص القرآن وأدلته الواردة سابقاً.



(١) الأنبا اثناسيوس، دراسات في الكتاب المقدس - إنجيل يوحنا، دط، دت، ص ١١٩، بتصرف.

ثالثاً: قضايا قرآنية مطروحة



• في تاريخ النزول:

في تاريخ النزول عدة قضايا، أبرزها يتعلّق بالأحكام المنسوخة وبالأحرف السبعة في القرآن، يتم طرحها للتشكيك في الوحي الإلهي وعصمته ووحدة النص المنزل، فيلزم توضيحها:

- النسخ والنسئ:

نزلت بعض الأحكام مرحلية ضمن تطوّر التشريع إلى كماله وفق تطوّر الدعوة في السيرة. وهنا يُمكن التمييز بين نوعين من تغْيُر الأحكام: النسخ: وهو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخّر من آيات نزلت وأوضحت ذلك، ولا مجال لعودة الحكم السابق مجدّداً. وقد ثبت منها تسعة أحكام فقط^(١).

(١) هي: واقعة وجوب التهجد ثمّ نسخه في سورة المزمل، وواقعة القبلة الأولى ثمّ نسخها باستقبال الكعبة، وواقعة نسخ صيام عاشوراء بفرض صيام رمضان، ثمّ نسخ كيفية الصيام الأول من رمضان، وواقعة وجوب الثبات في القتال أمام عشرة أمثال المؤمنين من الكفار ثمّ نسخه بوجوب الثبات أمام مثليهم فقط في سورة الأنفال، وواقعة نسخ إباحة الكلام في الصلاة، وواقعة عقوبة الزنا في آيتي سورة النساء ونسخها بالحدّ في آية سورة النور، وواقعة نسخ مفهوم النهي الجزئي عن شرب الخمر في الزمن الخاص بالصلوات ونسخه باجتناب الخمر مُطلقاً عن القيود في سورة المائدة، وواقعة فرض الصدقة بين يدي رسول الله ﷺ ثمّ رفعه في سورة المجادلة. د. مصطفى زيد، النسخ في =

مثال: كان قيام الليل فرضاً في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ۖ فَرُّ الْيَلِّ إِلَّا قَلِيلًا ۖ نَصَفَهُ ۖ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ۖ﴾ (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿[المزمل: ١ - ٤]، ثم رُفِعَت الفرضية عن المؤمنين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنَصَفَهُ ۖ وَثُلُثَهُ ۖ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۗ﴾ [المزمل: ٢٠]، وبقيت فرضاً على رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ ۚ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩].

النسيء: هو ما ينتقل بانتقال علته إلى حكم آخر، فكلُّ حُكْمٍ يجب امتثاله في وقته. فهي تعود وفق الواقع.

مثال: المسالمة عند الضعف والمسايفة عند القوة^(١).

- الأحرف السبعة والقراءات:

من رحمة الله تعالى الذي أنزل القرآن على العرب أن وسَّع عليهم في تمكينهم من قراءة القرآن وفق لهجاتهم في عهد الرسول ﷺ. فللعرب سبع لهجات بارزة، هي: قريش، هذيل، تميم، أزد، ربيعة، هوازن، سعد بن بكر. فلما نزل القرآن لم يُؤمر كل فريق من هؤلاء القبائل أن يُغيَّر أو يترك ما اعتاد عليه في لغته طفلاً وناشئاً وكهلاً، وإلا لاشتدَّ ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع

= القرآن الكريم دراسة تشريعية تاريخية نقدية، دار الوفاء، المنصورة، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، ٢: ٨٤٨ - ٨٤٩، بتصرف.

(١) الزركشي محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ٢: ٤٢ - ٤٣، بتصرف. وابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، تحقيق محمد حلواني ومحمد شودي، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٧ هـ، ١: ٢٢٩، بتصرف.

للعادة. من هنا نجد حديث رسول الله ﷺ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ»^(١).

هذه الأحرف السبعة هي سبعة أوجه فصيحة من اللغات أنزل عليها القرآن الكريم، تُعدُّ وجوهاً في أداء الألفاظ، وسبيلها النقل الثابت الصحيح بالتلقي. وحقيقتها سبعة أوجه خلاف واردة في القراءات تنطبق على سبع لغات للعرب.

مثال: «عَتَّى حِينَ» [المؤمنون: ٥٤] - بدل ﴿حَتَّى حِينَ﴾ (أي: بالعين مكان الحاء) - موافقة للغة هزيل لأنه هكذا يلفظ بها أفرادها ويستعملونها^(٢). لذلك كان في إنزال القرآن على سبعة أحرف توسعة من الله على العباد.

ثمَّ ظهرت تسمية القراءات كعلم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها وفق النقل بالسند (من حيث الوزن، أو التصريف، أو الإعراب، أو زيادة ونقص، أو تقديم وتأخير، أو قلب وإبدال، أو لغات)، وهي جزء من الأحرف السبعة، وترجع غالباً إلى حرف واحد منها، مما كان النبي ﷺ قد أمر بكتابتها^(٣). وضوابط قبولها:

* صحة سند القراءة.

* موافقة خط أحد المصاحف التي تَمَّت كتابتها في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه (كما سيأتي)، ولو احتمالاً.

(١) مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ١: ٥٦٠، ح: ٨١٨.

(٢) ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ص ٣٢.

(٣) ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ٣٠/٩، بتصرف.

* موافقة العربية ولو بوجه^(١).

مثال: ﴿يَكْذِبُونَ﴾ و﴿يُكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]، فالأولى كذبهم والثانية تكذيبهم لآيات الله تعالى ورسوله ﷺ.

• في تاريخ التدوين:

في تاريخ التدوين عدة قضايا، أبرزها يتعلّق بجمع القرآن واحتمالات التحريف والنقص فيه، يتم طرحها للتشكيك في ما نُقِلَ إلينا من الوحي الإلهي، فيلزم توضيحها:

- جمع القرآن:

أما تاريخ جمع القرآن، فلدينا ثلاث حالات تمّ فيها جمع القرآن:

* على العهد النبوي:

كان يُجمع في الصدور بحفظ كثير من الصحابة، وفي السطور بتدوينهم بكثرة وانتشار.

فالقرآن كان نزوله منجّماً، لم يكن مكتملاً ولا مرتّباً وفق ترتيب المصحف الحالي، وكان الاعتماد حينها على الحفظ، وقد كان هناك عدد كبير جداً من الحفظة (كما تُصرّح حادثة قتل الحفظة في واقعة بئر معونة)، كما كان هناك كتّبة لرسول الله ﷺ يكتبون له الوحي، وكان هناك أيضاً مصاحف مكتملة لدى بعض الصحابة.

وكان النبي ﷺ يقوم بضمّ الآيات النازلة بشكل مستقل إلى أمكنتها من السور، وكانت تتم مراجعة كامل ما نزل من القرآن الكريم بترتيبه التوقيفي سنوياً في شهر رمضان بين النبي ﷺ وبين جبريل عليه السلام، وفي العرض الأخير قبيل وفاة النبي ﷺ استقرّ ترتيب القرآن بتوجيهاته ﷺ.

(١) ابن الجزري محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي الضباع، دار الكتب العلمية، دط، دت، ١ / ١٤، بتصرف.

* على عهد الصديق رضي الله عنه:

كان جمعه بنسخه من مكان إلى مكان في نسخة معتمدة موثقة يشترك فيها الجميع، بدل نسخ الكتاب المتفرقة والمكتوبة على مسؤولياتهم.

فكان نزول القرآن قد انتهى وانقطع الوحي بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما استشهد سبعون من القراء في الإمامة طالب الفاروق الصديق رضي الله عنه بجمع القرآن. فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «بعث إليّ أبو بكر الصديق مقتل أهل الإمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال: إن عمر بن الخطاب قد أتاني فقال: إن القتل قد استحرّ بقراء القرآن يوم الإمامة، وإنني لأخشى أن يستحرّ القتل بالقراء في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، وإنني أرى أن تأمر بجمع القرآن، قال أبو بكر لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر، ورأيت فيه الذي رأى، قال زيد: قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فتتبع القرآن، قال زيد: فوالله لو كلّفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ من ذلك، قال زيد: قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم يزل يُراجعني في ذلك أبو بكر وعمر حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدرهما: صدر أبي بكر وعمر، فتتبع القرآن أجمعه من الرقاق والعصب واللخاف - يعني الحجارة الرقاق - وصدور الرجال، فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت رضي الله عنه ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ حَسِبَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ

تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [التوبة: ١٢٨ - ١٢٩]»^(١). «وكانت الصحف عند أبي بكر حياته، حتى توفاه الله عز وجل، ثم عند عمر حياته، حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر»^(٢).

ويتَّضح من ذلك المعايير التي وضعها أبو بكر حتى اختار زيداً بقوله: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب لرسول الله ﷺ الوحي. فهذه أوصاف تدلُّ على الهمة والجدية والثقة والأمانة العلمية والخبرة العملية.

* على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

تمَّت المحافظة على نص القرآن بتجريده عمّا سواه، واعتماد القراءات المتعددة الثابتة بالتلقي وفق الرسم.

فقد فزع حذيفة بن اليمان رضي الله عنه إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه لما رأى اختلافًا كثيرًا في وجوه القراءة، وبعض ذلك يتداخل بميل عن الصواب في القراءة، مع إلف كلِّ لقراءته، ووقوفه عندها، ومماراته مخالفة لغيره، وتكفير بعضهم الآخر. فأقرَّ عثمان تميم حرف قريش وإرساله إلى الأمصار، من خلال إنشاء لجنة مكوّنة من: زيد بن ثابت الأنصاري، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام القرشيين.

تمَّ في هذا الجمع الانطلاق من نسخة الجمع الثاني، واعتماد حرف قريش في الكتابة عند الاختلاف (لأنه إنما نزل بلسانها)، وكتابة خمس نسخ من المصاحف وتوزيعها على الأمصار التالية: المدينة المنورة،

(١) الترمذي محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، مطبعة البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ٥: ٢٨٣، ح: ٣١٠٣.

(٢) البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٥: ١٤٦، ح: ٧١٩١.

والكوفة، والبصرة، الشام، ومكة، إضافة إلى: المصحف الإمام (النسخة الشخصية لعثمان). وقيل أيضاً أنه أرسل مصاحف إلى البحرين واليمن.

- دعوى التحريف والنقص في جمع القرآن:

تنقسم دعوى التحريف والنقص إلى نوعين:

* ادعاءات بإضاعة آيات مكتوبة:

وهذه بُنِيَتْ على وجود روايات عن فقرات أو أحجام كانت موجودة للرسول، ولكنها روايات لم تبلغ حد التواتر بأن لم يذكرها جمعٌ من الصحابة، كما أنها دون وثائق أو شهود (خلافًا لمنهج زيد بن ثابت في التوثيق). لكن القرآن لا يثبت بغير المتواتر المكتوب مع الشهود، كما أن القراء المعتمدين الذين نقلوا عن صحابة نُسِبَتْ إليهم بعض هذه الروايات لم ينقلوا غير مصحفنا هذا. يُضاف على ذلك إجماع الصحابة على جمع أبي بكر ثم جمع عثمان رضي الله عنه.

وبالتالي، يُمكن تصنيف تلك الروايات أنها:

أ - من قبيل النَّسخ، أي: الأحكام التي نزلت مرحلية في السيرة ثم رُفِعَتْ ضمن تطوُّر التشريع إلى كماله.

ب - أو من قبيل مزيادات شخصية كانت موجودة لصحابي كتعليقات تفسيرية على الآيات في مصحفه.

ج - أو من قبيل الخلط المحتمل عند بعض الأفراد بين الحديث النبوي والقرآن الكريم قبل جمع القرآن.

* ادعاءات بإضافة آيات:

وهذه بُنِيَتْ على فرضيّات نظرية. لكن منهجياً يجب الاستدلال على التاريخ بروايات موثقة وليس فرضيّات نظرية لا حدَّ لها، وواقعياً نعود إلى إجماع الصحابة أصحاب الورع والتضحية على هذا القرآن ولو حاول



أحدهم تغييره لكانوا له بالمرصاد (أي: أن حرصهم أكبر من حرص طارح الطعن ومصدقته)، وفرضياً لو كان في عهد ما لقام مَنْ جاء بعده بتغييره وهو ما لم يحدث.

وبالتالي، يُمكن تصنيف تلك الفرضيات أنها من قبيل القياس الخاطيء من تجارب دراسات تاريخ الكتاب المقدس، والتأثر بالنقد الاستشراقي للمسلّمات الإسلامية.

• في اتجاهات التأويل:

في اتجاهات التأويل عدة قضايا، أبرزها يتعلّق بالنظرة التاريخية إلى النص القرآني والقراءة الرمزية لآياته، يتم طرحها للتشكيك في فهم الوحي الإلهي، فيلزم توضيحها:

- تاريخية النص القرآني:

هي دراسة النص القرآني بالمنهج التاريخي كظاهرة مرتبطة بزمان النزول ومكانه وبيئته والأفراد المحيطين به، كأنه قد صدر منها وارتبطت أحكامه بتلك الظروف. ونتيجة ذلك فإنه يتم رفع القداسة عن النص القرآني وتعطيل أحكامه بادعاء تغير الزمان والمكان والبيئات، ويترافق ذلك عادة مع التشكيك في حفظ القرآن وسلامته من الزيادة والنقصان.

لكن بناء على كلّ ما سبق من خصائص القرآن ودلائله وحفظه، فإنّه قد تبين أن القرآن لا ينتمي إلى مصدر بشري حتى يُقاس على منتجات البشر ويخضع لمناهجهم في ذلك.

وعليه، فإنّ مدى دوره وتنزيلات أحكامه إنما يؤخذ ممّا صرّح به القرآن مباشرة. وطالما هو:

﴿رسالة عالمية كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾﴾

* ورسالة خاتمة كما قال تعالى : ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

* خاطب الله بها الإنسان والمجتمعات في عهد رسول الله ﷺ ومن بعده كما قال تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام : ١٩] .

فإن هذا كفيل من حيث المبدأ برد الادعاء بتاريخية النص القرآني .

فإذا أُضيف إلى ذلك شهادات علماء القانون على صلاحية تشريعات القرآن عبر الزمان والمكان (كما مرَّ في أدلة القرآن التشريعية) من جهة، وتأثر الباحثين بتجارب مستشرقين في نقد الكتاب المقدَّس والمقدَّسات والمسلَّمات وموقفهم من الوحي والغيبات من جهة أخرى، تبين لنا واقع الأمر وحذرنا من مآله في تفكيك الهوية لتحقيق التبعية الكاملة للثقافة الغربية في فصل الدين عن واقع الحياة .

- القراءة الرمزية لتفسير القرآن المخالفة لثوابت القرآن ومعانيه :

برزت في العصر الحديث قراءات تأويلية، تُحاول تفسير القرآن تفسيراً رمزياً يُخالف ظاهر آياته وثوابت أصوله، وذلك اتباعاً لتراث مستورد من القراءات التأويلية الغربية - للنصوص الدينية - المبنية على دلالات فلسفية ولغوية ونفسية (لكاتب النص) وتجريبية (لقارئ النص) .

إن الهروب إلى هذا النوع من القراءات أمر منطقي عند التعارض بين النص الديني من جهة والعقل والعلم من جهة أخرى كما هو الحال في بعض الأديان. أما في الإسلام، فليس في القرآن الكريم نص ذو دلالة قطعية يتعارض مع حقيقة علمية حتى يُصار إلى هذا النوع من التأويل الذي يتعد عن معايير المنهج العلمي الدقيق والموضوعي .

مثال : هناك مَنْ قد يُشكِّك في قصص القرآن، كقصة آدم ومعصيته،

وطوفان نوح، وقصص موسى ﷺ مع الخضر، وقصة ذي القرنين، وسد
يأجوج ومأجوج، وقصة أهل الكهف، ...

هذه القصص تُعدُّ حقائق واقعية حدثت في التاريخ، ولا حاجة لما
يفعله البعض من البحث عن تأويلات رمزية لها (آدم رمز لطبيعة الإنسان
دون وجوده حقيقة، وقصص موسى مع الخضر رمز للقدّر دون وجود
الخضر حقيقة، ...). لأن كون العلوم والاكتشافات الأثرية لم تُؤكّدها
بعد^(١)، فهذا ليس مُبرّرًا لنفيها أو التشكيك فيها أو جعلها مثلاً للتشكيك
بالقرآن.

صحيح أن بعض هذه القضايا (كآدم وطوفان نوح) قد وردت في
أساطير قديمة كان لها تأثيرها في كتابات دينية لاحقة، لكن ذلك لا يعني
أن القرآن قد أخذها من هذه الكتابات، بل لا يُشبه سياق عرضها في
القرآن سياقات هذه الأساطير أو هذه الكتابات الدينية.

إذن، نعود إلى أصل التعامل معها باتباع ظاهرها لكون عرضها تمّ في
القرآن على أنها قصص (أي: من قصّ الأثر واتباع حقيقة ما حدث) ولم
يتم عرضها أنها أمثلة. ويُعدّ الإيمان بها نتيجة فرعية عن الإيمان بالقرآن
الذي تمّ بمدخل عقلية اتّضحت عند الحديث من خصائصه وأدلته.

(١) قد تكرر هذا الأمر سابقًا عندما قام علماء الآثار بنقد نصوص كتابية مشكّكين في وجود
الأنبياء والوحي والمعجزات ووجود معرفة بالكتابة في زمنهم...، إذ كان كثير منهم
يُصنّفون الدين أساطير كونهم قد تأثروا بعقلانية القرن التاسع عشر واعتمدوا على
افتراضات ناشئة عن فلسفات سائدة حينها دون معرفة جيّدة منهم بتاريخ الشرق الأوسط
القديم. فلما ظهرت لاحقًا عدة اكتشافات أثرية ظهر خطأ كثير من ادعاءاتهم. يُراجع:
د. وليم كامبل، القرآن والكتاب المقدّس في نور التاريخ والعلم، دار نور الحياة،
أوستريا، ط١، ١٩٩٦م، ص ٧٩ - ٨٣، بتصرّف. ووليم بباوي وآخرون، دائرة
المعارف الكتابية، ٦: ٤٤٩ - ٤٥١، بتصرّف.

• في العلاقة مع العقل والعلم:

في العلاقة مع العقل والعلم عدة قضايا، أبرزها يتعلّق بادعاءات تعارض القرآن مع بعضه ومع اللغة ومع الثوابت العلمية، يتم طرحها للتشكيك في عصمة الوحي الإلهي، فيلزم توضيحها:

- ادعاءات تعارض القرآن مع بعضه:

تبرز مسألة ادعاء تناقض القرآن مع بعضه، وأن آياته تتعارض فيما بينها. مثال: قد يدّعي البعض أن قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَى مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْسَّائِلِينَ ١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٢﴾ [فصلت: ٩ - ١٢] يجعل مدة خلق السماوات والأرض ثمانية أيام مما يتعارض مع بقية آيات القرآن ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

والجواب أن الله ﷻ قد خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام كاملة بلا زيادة ولا نقصان، فالمراد من قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أن ذلك حصل وتمّ في تنمة أربعة أيام دخل فيها اليومين في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾، ثم يُضمّ إليها خلق السموات في يومين، فيكون عدد الأيام التي تم فيها خلق السموات والأرض ستة أيام^(١).

- ادعاءات تعارض القرآن مع اللغة

استكمالاً لما تمّ عرضه حول «أدلة القرآن البيانية» عن إعجاز نظم

(١) محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ٧: ٤١٦٦، بتصرف.

القرآن وألفاظه ومعانيه، تبرز مسألة ادعاء تناقض القرآن مع قواعد اللغة العربية، وعادة ما يطرحها مَنْ لا عمق له بمعرفة لغة العرب، واكتفى بمعرفة سطحية لظاهرها.

مثال: قد يدّعي البعض أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] فيه تناقض بتذكير ﴿قَرِيبٌ﴾ رغم تأنيث ﴿رَحِمَتَ اللَّهِ﴾. والجواب على ذلك من عدّة وجوه مُغلّبة للتذكير على التأنيث:

* كلمة ﴿رَحِمَتَ﴾ مؤنّث غير حقيقي، يستوي فيه المذكر مع المؤنّث في التعبير عنه.

* كلمتا ﴿رَحِمَتَ اللَّهِ﴾ قائمة على التذكير لا التأنيث، لأن المضاف فيها ﴿رَحِمَتَ﴾ قد اكتسب من المضاف إليه ﴿اللَّهُ﴾ التذكير.

* ﴿قَرِيبٌ﴾ هي على وزن فعيل، وهو من الأوزان التي يستوي فيها التذكير مع التأنيث (رجل قتل وامرأة قتل).

* ﴿قَرِيبٌ﴾ في وصفها لكلمتي ﴿رَحِمَتَ اللَّهِ﴾ القائمة على التذكير يُكسب معنيين: قُرب رحمة الله وقُربه هو أيضاً^(١).

- ادعاءات تعارض القرآن مع الثوابت العلمية:

لا وجود لاختلاف أو تناقض في القرآن، بين نص قطعي الدلالة أو تفسير قاطع له، وبين الحقائق العلمية الثابتة بالوسائل الإنسانية. والقرآن، وإن كان قد تعرّض لبعض الحقائق المادية التي تتعلّق بعلوم الكون والإنسان، لكن غايته الأساس هي معرفة الخالق سبحانه واستمداد الهداية منه.

مثال: ذكر القرآن مثلاً عن أعمال الذين كفروا: ﴿أَوْ كَظُلُمْتِ فِي بَحْرٍ

(١) د. فاضل السامرائي، معاني النحو، ٣: ١١٦ - ١١٧، بتصرف.

لِيَجِيَّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ ظَلَمَتْ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدَهُ، لَمْ يَكْدِ بِرَنِّهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ ﴿٤٠﴾ [النور: ٤٠]. فهي تخبُّطات عمياء في ظلمات فكرية ونفسية وقلبية كظلمات في بحر عميق يعلوه موج من فوقه موج من فوقه سحاب يحجب النور. ثم تبين أن في البحار أمواجاً داخلية تختلف عن الأمواج الظاهرة. فذكر الأمواج في الآية ليس الهدف منه عرض علوم الكون كغاية بل تصوير حالة مَنْ اجتنب نور الهدى.

لكن هذا لا يعني التطابق بين القرآن والتوجُّهات العلمية، إذ يلزم التمييز بينهما في:

* المنطلقات: ينسب القرآن التأثير إلى الله تعالى، فيما تنسبه توجُّهات علمية إلى الطبيعة دون تفرقة بين النظام ذاته وبين واضعه وهو الخالق.

* الأهداف: يهدف القرآن إلى معرفة الله تعالى وشكره لتحقيق الرقي بالإنسان، أما في التوجُّهات العلمية فالعلم هدف في ذاته.

* المآلات: يُشير القرآن إلى حُسن الانتفاع بثمرات النظر والبحث العلمي دون استخدامها في الهيمنة وتأجيج الصراعات ونشر الأمراض. أما التوجُّهات العلمية فتكون مصاحبة أو مدعومة من أصحاب هذه الاتجاهات وكثيراً ما تتكامل مع مصالحها.

بالمقابل، يلزم التأكيد على وجود تعارض حقيقي في مسائل تُلبس ثوب العلم، وهي ليست منه، ينشرها قائلون على دوائر أكاديمية ومجلات بحثية ووسائل تربوية وإعلامية ويحميها لوبي ضاغط على سياسات الدول المصدرة لها، كنظريات الداروينية عن أصل خلق الإنسان التي تُحاول تفسير وجود الإنسان بمعزل عن الخالق، وفرضيات المثلية الجنسية التي تُحاول تبرير سلوكياته الشاذة، ونظرية النيوليبرالية في الاقتصاد التي تُبرر

هيمنة الدول على أسواق دول أخرى وإضعاف دعم الدول للتجارة المحلية أو حمايتها من المنافسة الدولية، . . . فهذه المسائل تُصنّف علم حتى تُعطى عِصمة، وهي تتعارض مع توجّهات قيمية في الإسلام في حقّ الله تعالى واستقامة حياة الإنسان وعلاقاته والعدل مع الناس.

• في المنظومة القيمية:

في المنظومة القيمية للقرآن عدة قضايا، أبرزها يتعلّق بادعاءات القِدَم وعدم الواقعية أو التناسب مع أولويات الحضارة، يتم طرحها للتشكيك في صحة تطبيق الوحي الإلهي، فيلزم توضيحها:

في القرآن مجموعة متناسقة متكاملة من القيم: الوجود والتساكن والتركية والأحكام والدعوة والحرب. . . فأمدّنا بإحداثيات دقيقة في علاقة الإنسان مع كل الوجود، ويُعد وجودها في وجدان أي مجتمع معيار نضج حضاري. هذا، وما زالت حتى الوقت الراهن كبرى الدول المتقدّمة في العالم تفتقد منظومة قيمية متناسقة ومتكاملة، فتُعاني من ضعف رؤية الحياة كروية كلية ثابتة، ولا تملك مقاييس محدّدة للحكم على تيارات الحياة، حتى أصبحت المنظومة التربوية الحديثة فيها تُبحر تحت رحمة تيار بلا هدف ولا خريطة ولا بوصلة^(١).

من هنا يتبيّن حاجة البشرية إلى القرآن ومنظومته القيمية، رغم ما ينتشر من ادعاءات حول:

(١) د. ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية - دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، مؤسسة الريان، بيروت، دط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٤٣ - ٤٧، بتصرف. نقلاً عن:

Christopher J. Lucas, What is Philosophy of Education, (USA: Toronto: 1969) P. 17.

* عدم مناسبتها للواقع: فيما هي غير مناسبة لمصالح هيمنة الدول وشهوات الأفراد والمجتمعات.

* قِدَمِهَا لكونها منزلة منذ قرن ونصف: فيما هم أنفسهم يؤصّلون في نظرياتهم المعرفية وفلساتهم التربوية من فلاسفة قبل قرنين وأكثر. وعودة المسلم هي إلى منهج الله الخالق، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

* أولوية التقدّم والتقنية على الدين: قد تدّعي المجتمعات المتقدّمة أن الأولوية الحضارية تقضي بالاهتمام بالتقنية على حساب بقية العوامل والخيارات في المجتمع، مما يجعل المجتمعات غير المتقدّمة تنظر إلى ذاتها بدونية في هذا الجانب. لكن التأخّر التقني ليس مبرراً للنظر إلى الذات بدونية، بل يملك المسلمون منظومة قيمة يحتاجها المتقدّمون تقنياً عليهم، والتقدّم التقني له أهميته وشروط تحقيقه.

- قيم الوجود والتساكن^(١):

* مع الله: «عبودية» (منتهى الخضوع ومنتهى الحب لله تعالى). هذه العلاقة تُشكّل محور حياة الإنسان وسلامة دافعه في بقية علاقاته وتتطلّب عدم الفصل بين الدين والحياة، ونتيجتها هي يقين النفس واستقامة السلوك. وبفقدانها تتوالى الآثار السلبية على الإنسان المعاصر بانحسار الأخلاق وفضائل العلاقات الاجتماعية الحسنة في الأسرة والمجتمع، والقلق الروحي، وتفشّي الانحلال والانهيار الأخلاقي.

* مع الإنسان الآخر: «عدل» (وهو الواجب مع الجميع) و«إحسان» (وهو الواجب مع الوالدين والمندوب مع الناس). ونتيجتها النضج الاجتماعي وحل المشكلات ودعم الضعفاء والتكافل بين الناس للتعاون

(١) يُنظر: د. ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ص، بتصرف.

والتقدّم الحضاري، وهو هدف كبير في الحكم بين الناس: العدل والتسوية بين القوي والضعيف في الحقوق مع تمكين الضعيف من أخذ حقه^(١). وبفقدانها تسود علاقة الصراع والبقاء للأقوى وتبادل المصالح، أو الولاءات العصبية والمذهبية.

* مع الكون: «تسخير» (الانفعال لإرادة الإنسان). هذه العلاقة تستلزم معرفة القوانين التي تُسيّر مكوّنات الكون، عبر حُسن استخدام طاقات السمع والبصر والعقل، ودقّة النظر في مكوّنات الكون بتحويل القوانين المكتشفة إلى ممارسات وتطبيقات، ثمّ حُسن الانتفاع بثمرات النظر والبحث دون ضرر أو إضرار، وبذلك يكون شكر الله تعالى عليها. وبفقدانها يتحوّل الإنسان إلى نمط الاستهلاك والصراع مع الطبيعة، أو الخضوع للمظاهر الكونية كما هو الحال في بعض الديانات البدائية. وفي كليهما لا يشعر الإنسان بكرامته وإكرام الله تعالى له في هذا التسخير رغم أن فوائد الكون تصبّ عنده.

* مع الحياة: «ابتلاء» (الامتحان في النفس والممتلكات بالخير أو الشر). هذه العلاقة تستلزم عند الابتلاء بالخير أن يتم توجيه إرادة الإنسان للتعامل بأمانة وشكر معه، كما تستلزم عند الابتلاء بالشر أن يتم توجيه إرادة الإنسان لتناول الخير المناسب المؤثّر ودفع الشر به بصبر وبذل الوسع حسب الاستطاعة (أي: مكافحة الشر بالوسائل الخيرة). وبفقدانها يُصبح البديل هو التعامل مع الخير بالإنتاج والاستهلاك كمالك مطلق، والتعامل مع الشر بأخذه أو الاستسلام له أو الاضطراب والجهل في التعامل معه.

(١) د. أمير عبد الكريم سوبره، السور القرآنية في حركية السيرة النبوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م، ص ٦٢٠، بتصرف.

* مع الآخرة: «مسؤولية» و«جزاء». هذه العلاقة تستلزم تحمُّل المسؤولية تجاه خيارات الإنسان والشعور بالرقابة الإلهية كوازع قلبي ضابط لحركة الإنسان في الحياة (عمره، شبابه، ماله، علمه، أهله، ...). وبفقدانها يُكتفى بأشكال مسؤولية أمام القانون أو الشعب أو التاريخ تكون معطلة الفاعلية وعرضة للاحتواء والالتفاف.

- قيم التزكية:

لتزكية الإنسان لنفسه عدة قيم:

* الإسلام لله تعالى: هداية التعامل مع خيارات الإنسان باختيار مراد الله تعالى وتقديمه على هوى النفس. وتُعد أمراض الكبر والحرص والحسد في صدارة ما يأتي الإسلام لله تعالى لمعالجته في الإنسان.

* الخوف والرجاء: هداية تعامل الإنسان مع نفسه، فالخوف قوة دافعة للإنسان حتى لا يتراجع إلى مقتضيات النار، والرجاء قوة دافعة للإنسان إلى الأمام كي يتقدّم إلى مقتضيات الجنة. وبالاكتفاء بالخوف فقط يئس الإنسان، وبالاكتفاء بالرجاء فقط يتفلّت الإنسان.

* الصبر والشكر: هداية التعامل مع الابتلاء والأقدار والأخطار والمصائب.

- قيم الشريعة:

تتنوّع أهداف الشريعة وفق فقه الأولويات، وتُعدّ في صدارة أهدافها حفظ خمسة مقاصد ضرورية تُحقّق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، ويكون ذلك بالأحكام التي تحفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال:

* حفظ الدين: بإقامة أركان الإسلام دون تهاون بها كالصلاة والزكاة والصيام، والنصح لكل مسلم، ودرء أيّ فساد واقع أو متوقّع.



* حفظ النفس: بالأحكام التي تحفظ للنفس الحياة وتحميها من الأذى أو الهلاك، وتُحقّق لها كرامتها، كتحرّيم القتل أو الانتحار، وتشريع ردّ الاعتداء.

* حفظ العقل: بالأحكام التي توجّه الإنسان إلى التعلّم واجتناب الجهل والخرافات، وتُحرّم عليه ما يُضعف مهمة العقل، كالأمر بالتفكّر والاستنباط، وتحرّيم المسكرات والمخدرات.

* حفظ النسل: بالأحكام التي تحمي نَسَب الإنسان وسمعته، كالتوجيه إلى الزواج، والأمر بالإنفاق على الأبناء والبنات، وتحرّيم الزنا ومقدماته والإجهاض، وتحرّيم الإضرار بسمعة الناس دون بيّنة.

* حفظ المال: بالأحكام التي تحمي الملكية من التلف أو النقصان، كالتوجيه إلى التجارة، والضمان عند الاعتداء على أموال الآخرين، وتحرّيم السرقة أو الربا أو الغش أو الإسراف.

أما ما يتعلّق بغير الضروريات من تصرفات تشد الحاجة إليها كحاجة المريض إلى إفطار أيام من رمضان مثلاً، فقد وجّهت الشريعة إلى مراعاتها بما يرفع الحرج أو المشقّة، وجعلت ذلك قاعدة شرعية استنباطاً من قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وهكذا جاءت قيم الشريعة كاملة وافية بكل حاجات البشر في كل زمان ومكان.

- قيم الدعوة:

* الإنذار والبشارة: التوازن بين تنبيه الإنسان بإنذاره، وبين بشارته.

* التسديد والمقاربة: التوازن بين العمل على إصابة الهدف بتطبيق الحكم، وبين محاولة مقاربتّه عند تعذّر التسديد.

- قيم الحرب:

- * الوحدة والشورى: الاتحاد كأمة ومجتمع، واعتماد الشورى كآلية فيما بيننا للاستماع القائم على الاختصاص قبل التنفيذ.
- * التسامح والعفو: وذلك مع جميع المكوّنات في المجتمع.
- * الوفاء والعدل: العلاقة مع الخصوم والأعداء.

• في السلوك الإسلامي:

في سلوك المسلمين تجاه الدين والآخر عدة قضايا، أبرزها يتعلّق بادعاءات التشدّد والعنف الجماعي، يتم طرحها للتشكيك في كيفية تطبيق الوحي الإلهي، فيلزم توضيحها:

ما زال الربط ماثلاً في ذهن كثيرين بين الإرهاب والإسلام، وذلك نتيجة الجهد الإعلامي الضخم المبذول في هذا الصّدد لإبراز كل سلوك عنفي يقوم به مسلم أنه نابع من الإسلام، مما يُبرّر سياسات الاستعمار والاعتداء على ثروات بلاد المسلمين وموقعهم في الجغرافية السياسية كهدف هجومي طمعاً بها، وعلى عددهم المتزايد وهويّتهم الثابتة كهدف دفاعي وازعه ديني أو ثقافي. فيقوم بتشويه المسلمين والتخويف منهم لتنشأ مجتمعات أجنبية حاضنة بل ومتفهّمة لأي هجوم يتعرّضون له، بل وأفراد مبادرين لقتلهم.

ويُعزّز هذه الصورة الإعلامية وجود ممارسات سلبية في مجتمع المسلمين، سواء أكان سببها حالات فردية أم عادات محلية أم مجموعات مخترقة أمنياً، يقوم الإعلام أيضاً برصدها وتضخيمها دون غيرها، ليربط المتابع له تلقائياً بينها وبين جميع المسلمين من جهة، وبينها وبين تعاليم دينهم من جهة أخرى.

ورغم هذا التحيز الإعلامي المقصود ضد المسلمين، فإن وكالة إنفاذ



القانون بالاتحاد الأوروبي قد حدّدت أن المسلمين لم يكونوا مسؤولين إلا عن ٢٪ من الهجمات المصنّفة إرهابية عام ٢٠١٣م. كما أن جامعة جنوب كارولينا الأميركية قد حدّدت أن عدد القتلى الأميركيين في هجمات نفذها مسلمون لم تتجاوز ٣٧ شخصًا طيلة ١٣ سنة بعد ٢٠٠١م، مقارنة بمقتل ١٩٠,٠٠٠ أميركي في هجمات قام بها غير مسلمين.

وفي دراسة وضعها البروفسور روبرت بايب أحد خبراء الإرهاب من جامعة شيكاغو، حين قام بدراسة كل قضية إرهاب انتحاري بين عامي ١٩٨٠ و ٢٠٠٥م ومجموعها ٣١٥ قضية، فوصل إلى الاستنتاج التالي: هناك صلة صغيرة بين الإرهاب الانتحاري وأصول التعاليم الإسلامية أو الأديان في العالم، لكن الشيء المشترك بين جميع الهجمات الإرهابية الانتحارية تقريبًا هو هدف علماني واستراتيجي لإخضاع دول الديمقراطية الحديثة لكي تسحب قواتها العسكرية من الأراضي التي يعتبرها الإرهابيون أوطانهم. وحين قامت غالبية بعمل أكبر تصويت للمسلمين من ٥٠,٠٠٠ مسلم حول العالم في ٣٥ دولة لمعرفة موقفهم من اعتداءات ١١ سبتمبر، تبين نبد ٩٣٪ منها لها، أما الـ ٧٪ الذين رأوا خلاف ذلك من تبرير للعنف فكانت أسبابهم سياسية وليس دينية^(١).

فما أبعاد التشدد والعنف الجماعي كواقع لأفراد أو في مجتمعات إسلامية؟

- التشدد:

هو أمر منتشر في أي دين، وينبع من طبيعة الشخص وفهمه للدين. وليس كل تشدد يتحوّل تلقائيًا إلى حالة عنفية وبيئة حاضنة له، إلا في

(١) مهدي حسن، مناظرة «هل الإسلام دين سلمي؟»، جامعة أوكسفورد، موقع

< https://www.youtube.com/watch?v=kkqJtC_xgDE > .

ظروف معيّنة (انتشار الظلم والقمع والاستبداد والجهل والخلل المنهجي) تستثمر جهودها وتوجّـهها جهات تقوم باختراقها أو بتمويلها. وهم لا يُمثّلون سوى أقلية صغيرة أقل من ٠,٠٠٠١٪ من الأمة الإسلامية.

- العنف الجماعي الناشئ من غلو ديني:

هو الممارسات العنيفة التي تقوم بها مجموعات متطرّفة من منطلقات دينية. وهنا يلزم التفرقة في السلوكيات النابعة منها:

بين اعتماد أصحابها على آيات قرآنية - نزلت في سياق رد العدوان - قاموا بإخراجها من سياقاتها.

وبين تبني أصحابها لأهداف سياسية في ظروف الظلم والجهل، مع التبرير والتشيد بآيات قرآنية.

والمعالجة الحقيقية تبدأ بالاعتداء بمنهج رسول الله ﷺ وسنته ضمن سياقها، وتُستكمل بالإسهام في معالجة الظروف ذاتها التي سبّبت هذا التحوّل إلى العنف. وإلا، فإن الاكتفاء باتهام الإسلام والإسهام في مشاريع الهدم لثوابته لن يُعالج هذا الواقع.



الخاتمة



للقرآن أهمية كبرى في حياة المسلم بل في حياة الإنسانية، مما يُفسّر أسباب استهداف القرآن وضرب المسلّمات. فكان الإيمان بالقرآن ركيزة للوقاية والعلاج.

وقد تبين لنا أن للقرآن خصائص خارجية تُميّز ظاهر القرآن ككتاب عن أي كتابات مقدّسة متوفّرة حاليًا في بقية الأديان، كما له خصائص داخلية تُميّز مضمونه عن أي كتابات أخرى. وبعد استعراض الأدلة البيانية والتشريعية والعلمية والغيبية والمنهجية والعقلية للقرآن، تأكّدت مكانته وقوّته وتميّزه وشموله وإلهية مصدره، بتألف وانسجام.

ثمّ بالانتقال إلى قضايا قرآنية مطروحة، تبين وجود أجوبة منهجية علمية عليها، وأن هذه القضايا إنما غلب عليها التأثير بثقافات وافدة ومناهج تشكيكية مسبقة لا تُعبّر عن إشكالية في القرآن بقدر ما تُعبّر عن إشكالية في نهج طارحها وفكره.

من هنا، كان واجبًا على المسلمين الإيمان العميق بهذا القرآن أنه منزل من عند الله تعالى وأن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، وأن يُبلّغ الآخرين دعوة الإيمان بالقرآن مع تعظيمه وتدارسه^(١).



(١) علوم القرآن الكريم، د. نور الدين عتر، ص ٢٨٩ - ٢٩٠، بتصرّف.



• القرآن الكريم وعلومه:

- ١ - الزركشي محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
- ٢ - ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
- ٣ - ابن الجزري محمد بن محمد، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي الضباع، دار الكتب العلمية، دط، دت.
- ٤ - محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م.
- ٥ - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷺ، دار القلم، دمشق، ط ٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- ٦ - د. مصطفى زيد، النسخ في القرآن الكريم دراسة تشريعية تاريخية نقدية، دار الوفاء، المنصورة، ط ٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٧ - د. نور الدين عتر، علوم القرآن الكريم، مطبعة الصباح، ط ٦، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٨ - د. أمير عبد الكريم سوبره، السور القرآنية في حركية السيرة النبوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.



• علوم الحديث والسيرة:

- ٩ - البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط ١، ١٤٢٢هـ.
- ١٠ - مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت.
- ١١ - الترمذي محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، مطبعة البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ١٢ - ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- ١٣ - أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبد الله، دلائل النبوة، تحقيق د. محمد رواس قلعه جي وآخرون، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

• علوم الفقه وأصوله:

- ١٤ - ابن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، تحقيق محمد حلواني ومحمد شودري، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ.
- ١٥ - د. سمير عاليه، علم القانون والفقه الإسلامي، دار مجد.
- ١٦ - مصطفى الزرقا، المدخل الفقهي العام، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

• علوم اللغة العربية:

- ١٧ - عباس العقاد، اللغة الشاعرة، مؤسسة هنداوي، القاهرة، دط، دت.

١٨ - مصطفى الزرقا، «مقارنة بيانية بين أسلوب الحديث وأسلوب القرآن»، نقلاً عن: موقع رابطة علماء السنة:

<https://www.rabtasunna.com/4181>.

١٩ - د. محمد حسن حسن الجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ط ١، ٢٠١٠ م.

٢٠ - حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، اتحاد الكتاب العربي، دط، ١٩٩٨ م.

٢١ - د. فاضل السامرائي، معاني النحو، شركة العاتك، ط ٢، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

• علم مقارنة الأديان:

٢٢ - وليم بباوي وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، دار الثقافة.

٢٣ - ستيفن ميلر وروبرت هوبر، تاريخ الكتاب المقدس منذ التكوين وحتى اليوم، ترجمة وليم ووجدي وهبة، دار الثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨ م.

٢٤ - الخوري بولس الفغالي وآخرون، مقدّمات في الكتاب المقدّس، الرابطة الكتابية والمكتبة البولسية، جونية، ط ١، ٢٠٠٢ م.

٢٥ - الأب اسطفان شرينتييه، تعرّف إلى الكتاب المقدس، ترجمة الأب صبحي حموي اليسوعي، دار المشرق، بيروت، ط ٦، ٢٠٠١ م.

٢٦ - هـ. ل. هايكوب، الروح القدس أقنوم إلهي، تعريب ثروت فؤاد، القاهرة، مركز المطبوعات المسيحية، دط، ١٩٨٨ م.

٢٧ - الأنبا اثناسيوس، دراسات في الكتاب المقدس - إنجيل يوحنا، دط، دت.



- ٢٨ - د. وليم كامبل، القرآن والكتاب المقدس في نور التاريخ والعلم، دار نور الحياة، أستراليا، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٧٩ - ٨٣، بتصرف. ووليم بياوي وآخرون، دائرة المعارف الكتابية، ٦ : ٤٤٩ - ٤٥١، بتصرف.
- ٢٩ - د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٣٠ - د. أحمد شلبي، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١١، ٢٠٠٠م.

• علوم الفكر والتربية والدعوة:

- ٣١ - عبد الرحمن بدوي، خريف الفكر اليوناني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٤، ١٩٧٠م.
- ٣٢ - مناظرة «هل الإسلام دين سلمى؟» من: جامعة أوكسفورد.
- ٣٣ - د. ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية - دراسة مقارنة بين فلسفة التربية الإسلامية والفلسفات التربوية المعاصرة، مؤسسة الريان، بيروت، دط، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٣٤ - أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة، دار القلم، الكويت، ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.



فَهْرَسُ الْمَحْتَوَيَاتِ



إهداء	٥
تقديم بقلم فاضل سليمان	٧
مقدمة	١٠
التمهيد	١١
أولاً: المنهجيات	١٣
ثانياً: خصائص القرآن وأدلته	٢١
• خصائص القرآن الكتابية الخارجية	٢٤
• خصائص القرآن الكتابية الداخلية	٢٨
• أدلة القرآن البيانية	٣٠
• أدلة القرآن التشريعية	٣٦
• أدلة القرآن العلمية	٣٨
• أدلة القرآن الغيبية	٤٠
• أدلة القرآن المنهجية	٤٢
- الاستقراء	٤٢
- التفصيل في الإثبات والإجمال في التنزيه	٤٣
• الأدلة العقلية: الاحتمالات في نسبة القرآن وبيان ما يرد عليها	٤٣
ثالثاً: قضايا قرآنية مطروحة	٤٩
• في تاريخ النزول	٤٩



- ٤٩ - النسخ والنسئ
- ٥٠ - الأحرف السبعة والقراءات
- ٥٢ • في تاريخ التدوين
- ٥٢ - جمع القرآن
- ٥٥ - دعوى التحريف والنقص في جمع القرآن
- ٥٦ • في اتجاهات التأويل
- ٥٦ - تاريخية النص القرآني
- ٥٧ - القراءة الرمزية لتفسير القرآن المخالفة لثوابت القرآن ومعانيه
- ٥٩ • في العلاقة مع العقل والعلم
- ٥٩ - ادعاءات تعارض القرآن مع بعضه
- ٥٩ - ادعاءات تعارض القرآن مع اللغة
- ٦٠ - ادعاءات تعارض القرآن مع الثوابت العلمية
- ٦٢ • في المنظومة القيمية
- ٦٣ - قيم الوجود والتساكن
- ٦٥ - قيم التزكية
- ٦٥ - قيم الشريعة
- ٦٦ - قيم الدعوة
- ٦٧ - قيم الحرب
- ٦٧ • في السلوك الإسلامي
- ٦٨ - التشدد
- ٦٩ - العنف الجماعي الناشئ من غلو ديني
- ٧١ الخاتمة

٧٣	 فهرس المصادر والمراجع
٧٣	 • القرآن الكريم وعلومه
٧٤	 • علوم الحديث والسيرة
٧٤	 • علوم الفقه وأصوله
٧٤	 • علوم اللغة العربية
٧٥	 • علم مقارنة الأديان
٧٦	 • علوم الفكر والتربية والدعوة
٧٧	 فهرس المحتويات





ISBN 978-9933-587-49-9



9 789933 587499

ليرت لبنان
مكاتب: 00961 7893 54 86
ركيا - امشول
مكاتب: 0090 839 607 75 14
دعقل شوق عثوني
مكاتب: 00963 11 225 76 60
جوال: 00963 944 977 222
taibadamas@gmail.com
info@taibadamas.com
www.taibadamas.com



المطبعة والنشر والتوزيع
دعقل شوق عثوني